382

HARLEQUIN

روايات أحلام

# زهرة المطر

بربارة مكماهون

www.elromancia.com
مرمورية

# زهرة المطر

كان زواجا سعيدا بكل ما للكلمة من معنى ...
لم تستطع عشر سنوات من الفراق أن تنسي هيثر ماضيها الزوجي السعيد . حتى يوم أجبرت على الاختيار بين عائلتها وزوجها . فكان أن ضحت بزواجها .
وفرقهما الطلاق الأليم...
لكن القدر جمعهما مجددا . فرأت أن آثار جراح الماضي لا تزال بادية بوضوح على ملامح هنتر . الزوج السابق الذي لم يفهم لما فسخت هيثر زواجهما . حتى اعترافها له بالحقيقة لن يجدي نفعا الآن . فالتسوية بينهما تبدو صعبة . ولكن ماذا تفعل بالحب العميق الذي تكنه له؛
ها هو القدر يمنحهما أسبوعا واحدا لتثبت لهنتر أن حبهما يستحق نسيان الماضي ... فهل تنجح؛

| | | | |
|---|---|---|---|
| لبنان: | 2500ل.ل | البحرين: | 1دينار |
| سوريا: | 75ل.س. | السعودية: | 10ريال |
| الأردن: | 1.5دينار | مصر: | 8جنيه |
| الكويت: | 750فلس | المغرب: | 15درهم |
| الإمارات: | 10دراهم | تونس: | 2دينار |
| قطر: | 10ريال | عمان: | 1ريال |

ISBN 9953-15-350-7

# روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Winning Back His Wife
First published in Great Britain 2005
Harlequin Mills & Boon Limited
© Barbara Mcmahon 2005
Translation © Dar El-Farasha - 2006
ISBN 9953 - 15 - 350 - 7

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

## أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

# بربارة ماكماهون

ولدت وعاشت طفولتها في جنوب انكلترا لكنها استقرّت في كاليفورنيا بعد أن عملت سنة كمضيفة طيران.

تزوجت وأنشأت عائلة وعملت في شركة للمعلوماتية. بدأت تكتب الروايات عندما دخل أولادها المدرسة. وبعد أن حققت حلمها بترك عملها النهاري وبالتفرّغ للكتابة انتقلت مع عائلتها لتقيم في جبال سيرّا نيفادا، حيث تفتّحت رغبتها بالتأليف أكثر فأكثر. هي تجلس اليوم على شرفة منزلها، تتأمل جمال الجبال بعيداً عن ضجيج سان فرنسيسكو وحياة المدينة الصاخبة. بات لديها الآن متّسع من الوقت لتبتكر روايات وشخصيات جديدة وتتقاسم قصصها مع الآخرين.

تحب بربارة أن تتلقى الرسائل من قرائها.

يمكنكم أن تراسلوها على العنوان التالي:

Po Box 977, Pioneer, CA 95666-0977-USA.

WWW.barbaramcmahon.com.

# ١ - مهمة مستحيلة

دخلت هيثر جاكسون قاعة الإجتماعات خلسة ومتأخرة كالعادة. هرعت إلى مقعدها على الطاولة الكبيرة وجلست، آملة ألا يوجه إليها عمّها إحدى ملاحظاته القاسية. لحسن الحظ، كان ساول جاكسون منشغلاً بإبداء رأيه في عمل ابن عمها فليتشير فلم يكلّف نفسه عناء الالتفات إليها.

حاولت هيثر الإطلاع على مجريات الجلسة، فدسّت لها جارتها سالي مايرز ملاحظة تختصر فيها أبرز ما جرى. وابتسمت لها هيثر معربة عن شكرها وأخذت تصغي باهتمام.

بعد بضعة دقائق، انتهت محاكمة فليتشير. فالتفت العم ساول إلى هيثر فأدركت أن الحظ لم يسعفها.

قال ساول: «يسرّنا انضمامك إلينا، هيثر».

هزت رأسها هي التي اعتادت أساليبه. لم تكن ترغب في معارضته رغم أنها فعلت ذلك غير مرّة وستفعل مجدداً من دون شك، فساول لم يكن ليشيّد هذا الصرح الإعلاني الضخم، الذي تملكه العائلة شمال غرب الهادىء، باتباعه سياسة اللين والهدوء.

سحب ساول إحدى الأوراق من المجموعة المكدسة على الطاولة أمامه قائلاً: «جاءنا الرد على المسودّة الإعلانية التي أرسلتها إلى «ترايلز وست»».

سألت سالي: «وهل وافقوا على الإعلان؟».

- كلا.



www.elromancia.com

أحسَّت هيثر بقلبها يتوقف. فقد استلمت المشروع بعد انتهاء نصف مرحلة التصميم، فتابعت من حيث وصل العمل وبذلت جهداً في إنجاز المسودّة والرسومات. كان ادريان تايلر قد باشر العمل لكن ما إن واجهت زوجته مشاكل أثناء فترة حملها حتى حصل على إجازته تاركاً لهيثر مجموعة ملاحظات.

ظنت هيثر أنها فهمت تماماً الهدف من توسّع شركة المعدات الرياضية في شمال غرب الهادىء. فشركة دنفر نمت وتوسعت على مدى السنوات الست الأخيرة، لتنتشر في جبال «الروكيز» أولاً ومن ثم في سوق كاليفورنيا. وها هي تفتتح اليوم متاجر كبرى في كل من سياتل وبوتلاند وياكيما. كانت تأمل حقاً في أن تحصل على المشروع المحلي لشركة «جاكسون أند برينس».

أضاف ساول: «ليس بعد، على الأقل».

رفعت هيثر نظرها إليه تسأله: «وماذا تعني بهذا؟».

- قد لا يبدو هذا عادياً إلا أن الشركة تطلب أكثر من مجرد إعلان. ويبدو أن المسؤول يريدنا أن نبذل مجهوداً أكبر للحصول على المشروع.

سألت هيثر مجدداً: «وما معنى هذا؟».

لِمَ يلفُّ ساول الأمر بمثل هذا الغموض؟

- ثمة خمس شركات متنافسة، وعلى كل منها أن ترسل مديرها المسؤول عن المشروع في رحلة تخييم ليظهر مدى خبرته.. أو خبرتها في التخييم ومعرفتها بالمعدات التي تبيعها الشركة المعلنة.

اسندت هيثر ظهرها إلى الكرسي، قائلة وقد أحبطها الخبر: «هذا ما يضعنا خارج المنافسة، فليس لدي أدنى فكرة عن التخييم».

وضحك فليتشير قائلاً: «تقتصر خبرة هيثر في النشاطات الخارجية على المشي من سيارتها إلى باب المتجر».

لم يلقَ فليتشير صدى لضحكه سوى طيف ابتسامة من المحيطين بالطاولة الكبرى، لا بل خيّل لهيثر أنها لمحت تعاطفاً في أعين المدراء



التنفيذيين.

عقدت هيثر حاجبيها ونهرته قائلة: «لِمَ لا تذهب أنت، إذاً؟».

لا يفوّت فليتشير أيَّ فرصة ليغمز من قناة ابنة عمه.

ردَّ فليتشير معترضاً: «هذا ليس مشروعي».

وتساءلت هيثر في سرّها عن رغبة ابن عمها في أن يحصل حقاً على هذا المشروع.

لو وقعت الوكالة على هذا العقد لصار المشروع ضخماً حقاً، أجل أضخم مشروع تتسلمه فيما لو حصلت عليه.

أنهى ساول حديثه: «ولن يكون مشروع هيثر إن لم تذهب وتظهر معرفتها بالمنتجات. فجُلّ ما تبتغيه «ترايلز وست» هو أن يكون المدير المنفذ للمشروع على اطلاع على منتجاتها بغية اصدار اعلان ممتاز قائم على تجربة شخصية».

تنهدت هيثر عميقاً وهي تنظر إلى لوحة الكتابة أمامها. آخر مرة فكرت فيها بالقيام بنزهة سيراً على الأقدام كانت منذ عشر سنوات، حين كان هنتر ينظم الشعر في جمال الطبيعة، وحين أصرَّ على إظهار قدرته في التعامل مع قساوتها. عدا ذلك، فهي لا تملك أدنى فكرة تقريباً عن التخييم أو السير في الطبيعة.

طأطأت رأسها، وقد اعتصر الألم قلبها. لم تعد تفكر في هنتر كثيراً، فهي لم تره منذ عشر سنوات، غير أن شيئاً ما يذكرها به من حين إلى آخر فتتفجّع لهول الخسارة.

وضع ساول الأوراق جانباً وهو يجول بنظره على الحاضرين متوقفاً عند هيثر: «لا أظنكم تجهلون الوضع الراهن للشركة، لقد سبق وخسرنا مشروعين اثنين خلال الأشهر الأربعة الماضية. إن لم تعوّض الخسارة ببضعة مشاريع جديدة فسنضطر لاتباع سياسة تقليص النفقات وربما إلى الاستغناء عن عدد من الموظفين».

بدّلت هيثر وضعيّة جلوسها في الكرسي متسائلة عما إذا كان يلمّح إلى



www.elromancia.com

احتمال تكليفها بالمهمة. فهي تدرك تماماً أنها حصلت على الوظيفة بفضل صلة القرابة التي تربطها بعمِّها ساول وإحساسه بالمسؤولية تجاه عائلة أخيه المتوفي، وأن استمراريتها رهن بمصالح ساول، فإن لم تثبت جدارتها فستخسر الوظيفة بلمح البصر. لقد تعلمت الكثير خلال السنوات القليلة الماضية لكن هل يكفي ذلك لتأخذ المشروع على عاتقها يا تُرى؟ إلا إذا أصبحت خبيرة تخييم في غضون اسبوعين.

اعترضت قائلة: «لا أفقه شيئاً عن التخييم».

فقال لها ساول: «تعلَّمي، ستبدأ الرحلة بعد اسبوعين، فابذلي ما بوسعك واحصلي على المشروع! إننا نعتمد عليك هيثر تماماً كأمك».

لم تكن الجملة الأخيرة ضرورية فهيثر تدرك تماماً كم تحتاج إليها أمها. سلمّها ساول رزمة من الأوراق قائلاً: «تلك هي المعلومات التي أرسلتها «ترايلز وست» فلا تخسري هذا المشروع!».

نظرت هيثر إلى رزمة الأوراق التي تحتوي كافة التعليمات المتعلقة برحلة التخييم. عدد الأوراق يوحي إما برحلة هائلة وإما بأن عمليّة التخييم تتطلب أكثر مما كانت تعتقد بكثير.

عليها التحدث إلى عمِّها بعد الاجتماع لإقناعه بأن التأثير في رياضيين محترفين حماقة كبرى. لقد ساءها كثيراً أن يلقي مسؤولية حسن سير الشركة على عاتقها. أليست الشركة شركته وما هي إلا شخص غير ذي أهميّة؟ لِمَ لا يرسل فليتشير؟

كادَت تبتسم لمجرَّد تخيُّل منظره، أوَلن يحب ذلك؟ ففكرة فليتشير عن النشاطات الخارجيّة لا تتعدى مشاهدة مباراة كرة قدم من على المدرَّج.

وما لبثت الحقيقة المرَّة أن أطلت برأسها، فهي لا تستطيع المغامرة بالوظيفة لكنها غير واثقة في الوقت عينه من قدرتها على إنجاز المهمة. وكيف يمكن لساول أن يتوقع منها التأثير في أي كان بالمعلومات التي تملكها عن التخييم؟

لا شك أن الراتب الذي تتقاضاه جيد ما ساعدها كثيراً في إعالة



أمها، إلا أنه لم يرضِ قلبها وروحها. في الواقع، لا تملك هيثر أدنى مقومات البقاء في البريَّة وتعليق فليتشير محقّ رغم قساوته، فهي ليست تلك المرأة النشيطة، بل تفضل الاستماع إلى الموسيقى أو القراءة على النشاطات الخارجية القاسية.

وفيما هي تتأمل أظافرها، لاحظت هيثر تغييراً في نبرة ساول مع انتقاله إلى موضوع آخر. إنها تحب الأظافر الاصطناعية التي الصقتها منذ بضعة أسابيع، فهي تعطيها شعوراً بالنجاح ورغد العيش. كانت تعلم وهي تتأمل تنورتها أن التنانير القصيرة تبرز جمال ساقيها الطويلتين.

قبل بضعة أشهر، لم يكن لدى هيثر أي ضمانات مالية تخولها الاستمتاع بكماليات الحياة على هذا النحو، فنفقات أمها الاستشفائية ألقت على كتفيها حملاً ثقيلاً لسنوات طوال. وقد سمعت ما يكفي من التعليقات اللاذعة عن نفقاتها ما جعلها تعيد النظر في حساباتها. ولكن كيف لها أن تتخلى عن الدفع المعنوي الذي يوفره وضع الأظافر الاصطناعية وشراء الملابس من المتاجر المعروفة؟ أهذا كثير عليها وهي التي كرّست حياتها لأمها وللوظيفة؟.

واجتاحتها موجة من الكآبة لمجرَّد التفكير بأنها ستودع أظافرها الاصطناعيَّة وتنانيرها ذات الطراز الحديث ما لم تحصل على مشروع «ترايلزوست» كما ستتخلى عن الشقة الحديثة التي تعيش فيها مع أمها ونمط الحياة المرفّه نسبياً. والأسوأ أنها لم تكن واثقة أن أي راتب تحصل عليه في أي شركة إعلانات أخرى سيوازي الراتب الذي تتقاضاه حالياً هذا إن تمكنت من الحصول على عمل آخر بسهولة. فما من أحد سيقدم ما قدمه عمها للتعويض عن وفاة والدها واضطرارها إلى ترك الجامعة.

اختتم ساول الاجتماع سائلاً: «هل من أسئلة؟»

نظرت هيثر من حولها متسائلة عما فاتها إلا أنها سرعان ما أدركت أن ما من شيء يضاهي ما ستفعله بخصوص مشروع «ترايلزوست» أهمية.

تمهلت هيثر في قاعة الاجتماع فيما سارع الآخرون إلى المغادرة،

واستوقفت ساول قبل أن يرحل بالقول: «علينا التحدث، ساول».

وخطر لهيثر أنّه يبدو متعباً.

لم يبدُ التعب يوماً على عمّها الجلف الفظ. هل الأمور أسوأ مما اعتقدت؟ دنت هيثر من عمّها تسأله: «هل أنت بخير؟».

قال متكئاً على حافة الطاولة: «طبعاً بخير، عمّ تودّين التحدث؟».

- عن «ترايلزوست»، أما من شخص آخر ترسله مكاني؟ أنا لا أصنع العجائب إن كنت تعتمد على ذلك. بإمكانك إرسال فليتشير، أو حتى جايسون.

قالت هذا باحباط مشيرة إلى أحد المساعدين الذين يعملون معها على بعض المشاريع.

هزّ العم رأسه قائلاً: «أعلم أن هذا يشكل تحدياً بالنسبة إليك يا عزيزتي إنما تشجعي. احصلي على معلومات عن التخييم من كل ما تقع عليه يداك من كتب أو ما شابه. تحدثي إلى بعض الأصدقاء الملمّين بالموضوع. أنت قوية كفاية بل أكثر مما تظنين وما تفعلينه مع أمك يثبت ذلك. نحن بحاجة لهذا المشروع».

ونظر إلى الباب المفتوح ومن ثم إليها متردداً لبرهة قبل أن يصارحها: «أحوالنا تتدهور، وحده مشروع «ترايلزوست» يمكن أن ينقذنا من الانهيار هذا العام، صحيح أن لدينا مشاريع أخرى لكنها ليست بحجم هذا. لست أبالغ حين أقول إنّ مصير الشركة ومستقبلها يتوقفان على الحصول على مثل هذا المشروع».

رائع! هذا ما كان ينقصها، المزيد من المسؤولية! أيعقل أن مصير الشركة كلها يتوقف على أدائها في رحلة التخييم؟ ودبَّ الرعب فيها. عاودها الشعور ذاته الذي رافقها طوال تلك السنوات بعد مقتل أبيها وإصابة أمها في حادث سير. وأتى قرارها حينها بتحمل مسؤولية رعاية والدتها وحمايتها على حساب نفسها.

وقد نجحت، نجحت رغم شكّها من حين لآخر بقدرتها على تحمّل مثل



هذا العبء. وها هي الآن تعود إلى الدوامة ذاتها، حيث يطلب منها تحقيق المستحيل. لكنها لا تعتقد الآن أنها مستعدة لخوض غمار التجربة من جديد.

- ماذا عن أمي؟.

- سنطلب منها أنا وسوزان أن تبقى بضيافتنا. فأنت لن تتغيبي سوى أسبوع واحد.

لا بد أن المهمة غاية في الأهمية لتطلب سوزان من والدة هيثر البقاء بضيافتها لأسبوع كامل. فالإمرأتان لا تنسجمان أبداً لأن العمّة سوزان مقتنعة بأنّ اميليا قادرة على الاعتناء بنفسها وأنها تستغل ابنتها هيثر. واميليا من النساء اللواتي يستهوين تملّق الجميع فحتى هيثر تعلم أن أمها أنانية إلا أن بقاءها في كرسي متحرك طوال حياتها وصراعها مع المرض يبرران تصرفاتها.

قالت مستسلمة للأمر الواقع: «سأبذل قصارى جهدي».

أجاب ساول: «آمل أن يكون هذا كافياً، فنحن نعتمد عليك».

ما إن وصلت هيثر إلى مكتبها الصغير حتى اغلقت الباب وجلست إلى طاولة الرسم القريبة من النافذة. كانت من عشاق تصميم الإعلانات، إن من حيث الشكل أو المضمون. لكن أكثر ما يزعجها هو الاجتماع بالزبائن فهي لا تتقن فن التحاور بالرغم من طبيعتها المحببة. لذا، كانت أكثر ميلاً لمرافقة الأصدقاء بدلاً من تناول العشاء مع زبائن محتملين من الغرباء.

أخذت تدرس مكرهة المعلومات التي تسلمتها من عمّها. كانت الأوراق تتضمن تعليمات كاملة عن الطعام واللباس والواقي من أشعة الشمس. كما أنها تشير إلى مكان الاجتماع، ومسار الرحلة المقدرة ومدّتها. أسبوع كامل! لقد قام آلان أوسبورن، مدير التسويق بتصميم الرحلة، فهل سيكون هو القائد؟ فلم تشر الورقة سوى إلى حضور أحد ممثلي الشركة.

لعل هذه الرحلة وضعت لمحبي هذا النوع من النشاطات في «ترايلزوست». فمحبو الرياضة يطيرون فرحاً لمجرد الحصول على فرصة للعمل في متاجر بيع المعدّات الرياضية. فكيف بتمضية أسبوع في مخيم على حساب الشركة؟

أسبوع كامل من دون استحمام، أيعقل هذا؟ وسبعة أيام من النوم على الأرض، وتناول الأطعمة المعلّبة وتمضية أربع وعشرين ساعة كاملة مع غرباء. هل ستتمكن من تدبر أمرها طوال هذه المدّة؟

كادت تتقيأ وهي تفكر بكل الحاجيات التي عليها حملها. عليها أن تكون فيلاً لتتمكن من حمل ونقل تلك الأغراض كلها. والأغرب أن الناس يستمتعون بذلك.

مستحيل! كيف لها أن تتدبر أمرها سبعة أيام في البريّة مع مجموعة من الغرباء الذين اعتادوا على التخييم منذ كانوا أطفالاً؟.

نظرت إلى جمال أظافرها ومرّرت أناملها في خصل شعرها وهي تفكر في هذه الرحلة حيث ما من مجفف للشعر أو مركز تجميل قريب إذا ما كسرت أحد أظافرها. حتى أنها لن تتمكن من إجراء أي اتصالات فالمنطقة التي سيقصدونها لإقامة المخيم قد تكون بعيدة بحيث لا يمكن الاتصال بأحد، وهي ليست معتادة على شيء من هذا.

أنّى لها أن تعتاد مثل هذا النمط وهي فتاة عاشت في المدينة منذ الولادة؟ والمتنزه هو مقصدها الوحيد حين ترغب في رؤية بعض الخضرة.

ومع هذا، كيف لها أن ترفض؟ أمها تعتمد عليها وعلى راتبها. وإذا ما صدّقت كلام عمّها، فإن مصير شركة «جاكسون اند برينس» الإعلانية وقف أيضاً عليها.

عندئذ، اتخذت قرارها وشرعت تراجع لائحة المعدّات والتجهيزات التي يتعيّن جلبها قبل موعد باقي المتنافسين الآخرين، أيّ بعد اسبوعين.

نهار السبت التالي قامت هيثر بزيارة متجر «ترايلزوست» الذي تم افتتاحه حديثاً في سياتل. كان المكان مليئاً بما يبهج قلب أي رياضي، من



القمصان التي تحمل الشعارات، والقمصان القطنية الواسعة والقبعات والأكواب وعلاّقات المفاتيح إلى عدة التزلج. ويضم المتجر أيضاً أقساماً مخصصة لبيع أدوات الغولف وأدوات كرة القدم الأميركية وعدّة رياضتي الكانوه والكاياك، أي أنه لا يغفل شيئاً يتعلق بالرياضة. وخطر لها أنه ليس عليها تعلّم الكاياك على الأقل في هذين الأسبوعين.

قال شاب متحمّس قبل أن تتمكن حتى من رؤية ما يحيط بها: «أأستطيع المساعدة؟».

فابتسمت، آملة أن تخفي ابتسامتها شيئاً من الإحباط الذي تشعر به.

- آمل ذلك، فقد دعاني بعض الأصدقاء إلى رحلة تخييم، وهي المرّة الأولى التي أذهب فيها إلى مخيّم، لذا احتاج إلى بعض الأغراض والمعلومات ربما.

لم تكن ترغب في أن يتعرّف إليها أحد وهي تبتاع المعدّات، لذا لجأت إلى مثل هذه القصة. وتعمّدت الشراء من متاجر الشركة التي تسعى لاكتسابها كزبون لشركة الإعلانات وذلك من دون أن يعلم أحد بجهلها المطبق بالعيش في البراري.

قالت هيثر للشاب: «لدي قائمة بما أود شراءه».

ولم تكن القائمة سوى نسخة بخط اليد عن المعلومات الواردة في كتيب وجدته.

تفحص الشاب القائمة بسرعة معلقاً: «لم تتركي شيئاً، حتى أحذية رياضيّة جديدة، أليس كذلك؟».

ورمقها بنظرة مشككة قبل أن يتابع كلامه: «عليك الاعتياد على المشي في مثل هذا الحذاء قبل الانطلاق في رحلة سير طويلة. متى موعد الانطلاق؟».

قالت هيثر متعمدة الغموض: «في خلال بضعة أسابيع».

أيعقل أن يكون موظفو «ترايلزوست» على اطلاع على ما يطلبه قسم التسويق من وكالات الإعلان التي قد يتعامل معها؟ على أيّ حال لا

يمكنها المغامرة.

- إذاً، لديك ما يكفي من الوقت لتعتادي المشي وأنت تنتعلين هكذا حذاء. لنرى، أعتقد أن لدينا كل ما تحتاجين.

تهلل وجهه وانطلق أمامها عبر الممر.

وبعد ساعة ونصف، خسرت هيثر بضع مئات الدولارات فيما أمنت كل ما تحتاجه. وتساءلت وهي تتأمل حزمة الأمتعة وأغراض النوم وأدوات الطبخ وعلب المأكولات المجففة وحذاء الرياضة، كيف ستنقلها إلى المنزل، هذا إذا ما استطاعت توضيبها في الحقيبة المخصصة لها. كيف ستحمل كل هذه الأمتعة أسبوعاً بكامله؟ لا عجب أن تحثّ التعليمات المشاركين على تقليل أمتعتهم قدر الإمكان. لكن كيف لها أن تتدبر أمرها مع طقم واحد من الملابس وصحن وملعقة؟

وفيما كان الموظف يحسب مجموع المشتريات، جالت هيثر نظرها مجدّداً في أرجاء المتجر. كان نظيفاً، ومشعاً وحيوياً. رأت بضعة زبائن وبعض الفضوليين، فالافتتاح الرسمي الكبير سيجري بعد بضعة أسابيع.

نظرت هيثر خلف الصندوق فاحتبس النفس في رئتيها. رأت صورتين كبيرتين وقد كُتب أسفلهما عبارة «مؤسسي ترايلزوست». تسمّرت نظرات هيثر على الصورة الموضوعة إلى اليسار.

هنتر برادّوك.

توقف قلبها عن الخفقان فتأملت ملياً في الوجه الذي ألفته وغمرتها موجة من الحزن.

تنحنحت قليلاً قبل أن تسأل على الرغم من وضوح العبارة المدوّنة أسفل الصورتين: «أهذان هما مؤسسا «ترايلزوست»؟».

- أجل إنهما «هنتر برادّوك» و «تريفور ماك لينتوك»، لقد التقيتهما شخصياً.

قال الشاب هذا باعتزاز وأردف: «جاءا عند افتتاح المتجر واجتمعا بكافة الموظفين وسيعودان عند الافتتاح الكبير».



سألته، مستذكرة ما قرأته من معلومات حول الشركة: «إلا أن مقر الشركة الرئيسي في دنفر، أليس كذلك؟».

كانت واثقة من أن الملاحظات التي تركها أدريان تمحورت حول المنتجات واختلافها عن باقي منتجات المؤسسات الرياضيّة الأخرى، من دون أن تأتي على ذكر اسم هنتر طبعاً، وإلا للاحظت الاسم فوراً.

حاولت اقناع نفسها بأنّ ما من علاقة بين مشروع الإعلان وهوية المؤسس، فهي لن تسمح للماضي بأن يؤثر في الحاضر. إلاّ أنها ما استطاعت الكف عن التحديق إلى تلك الصورة. بدا التقدّم في العمر واضحاً في ملامحه، ولكن هذا طبيعي. ألم يكبر عشر سنوات منذ رأته آخر مرّة؟ ألم تتقدم في السن هي أيضاً؟ لمَ تتعجب إذاً من تغيُّر ملامحه؟ لكنه لم يتغير قط في مخيلتها وحتى في أحلام يقظتها.

لا شك أنه أبلى حسناً طوال تلك السنوات، فنجاح «ترايلزوست» أمر لا يستهان به على الإطلاق.

هنتر برادّوك؛ هل لا يزال يفكر فيها؟

وتاقت إلى الأيام السعيدة التي امضياها معاً، الأيام التي رسم أبوها نهايتها بنفسه.

قال الشاب: «لقد بلغ المجموع ٧١٨ دولاراً و٤٣ سنتاً».

روادتها الشكوك وهي تنقل نظرها من الصورة إلى عدّة السَّير والتخييم. إن نجحت الرحلة بأعجوبة ما، فشركة المعدّات الرياضية لن تسمح لهم بتولي المشروع، لا سيما إذا ما اكتشفت هوية المدير التنفيذي.

ينبغي أن تستسلم الآن وفوراً. كما أنّ عليها إبلاغ العم ساول بالسبب، فهل يحفظ سرّها يا ترى؟ لم يكن أفراد العائلة على علم بزواجها من هنتر الذي لم يَدم طويلاً، لا سيما أمها، وهي تعتقد أنّ ما من داعي لأن تعلم بعد كل تلك السنين. ما العمل الآن وكيف السبيل إلى التملص من الرحلة من دون أن تفقد الشركة هذه الفرصة؟ لا، لن تستطيع التوصل إلى أي حلٍّ في الوقت الحاضر.

التفتت إلى الموظف الذي انتظر بصبر وقدّمت له بطاقة اعتمادها وعيناها تتجهان تلقائياً إلى الصورة، إلى وجه هنتر. وغمرها فيض من المشاعر، كان الحزن أبرزها. لقد أحبته كثيراً، إلا أن الظروف وكلماتها المؤذية أنهت زواجهما قبل أن يبدأ حتى.

لقد أساءت معاملته، وفرّت منه لتعاود الاتصال به عبر محام أنهى معاملات الطلاق. لقد أقسمت على أن تحبّه إلى الأبد، في الصحة والمرض. لكن ما إن حلّت أوّل أزمة حتى هربت وضحت بزوجها الشاب.

لكنها كانت واثقة آنذاك من أن ما قامت به هو الأفضل للطرفين.

لم يكن الحل الأفضل بالنسبة إليها، ربما، بل لأمها ولعائلتها ولهنتر. فهل يرى هو الأمر من هذا المنظار؟ لا تعتقد.

أمضت هيثر نهاية الأسبوع وهي تقرأ عن التخييم، كما تابعت النشاطات الخارجية على قناة «ديسكوفري». واستعانت بشبكة الانترنت فاطّلعت على كل ما وجدته عن «ترايلزوست» ومؤسّسيها. وبدا لها وكأنها تقرأ سيرة شخص غريب فهي لم تتعرّف سوى إلى الجامعة التي درسا فيها معاً، أما ما تبقى فمعلومات تكتشفها للمرّة الأولى. لقد استجدّت أمورٌ كثيرة في حياة هنتر، أمور لا شأن لها بها.

استبعدت هيثر احتمال لقائها هنتر في أحد الاجتماعات إذا ما حصلت شركة «جاكسون أند برينس» الإعلانية على مشروع «ترايلزوست». ودّت لو تركز أكثر على ما ورد في الكتب عن التخييم، لكنها ما استطاعت إبعاد هنتر عن تفكيرها. ماذا سيقول لو علم أنها أحد السّاعين إلى كسب المشروع في سياتل؟.

ارتدت هيثر، التي أحبطتها تخيّلاتها، سروال جينز وانتعلت الحذاء الرياضي الجديد لتقوم بنزهة سيراً على الأقدام. لعل الهواء النقي يهدّىء روعها

نادتها أمها من غرفة الجلوس حيث كانت منهمكة ببعض أعمال



الحياكة: «هيثر؟».

ما إن دخلت الغرفة حتى سألتها بعينين غاضبتين: «لماذا ترتدين مثل هذه الملابس؟».

- سبق وأخبرتك عن المخيّم الذي يصرُّ العم ساول على أن أشارك فيه. سأقوم بنزهة فقد نصحني البائع بأن أعتاد على انتعال الحذاء قبل الذهاب في الرحلة.

- كيف يمكن لعمّك أن يرسلك إلى البرية من دون طلب الإذن؟ ألا يعرف مدى خطورة الأمر، فقد يقتلك دبٌّ أو ذئب ما؟ وماذا سيحلُّ بي بعدها؟ سأتصل به لأجعله يغير رأيه.

- عليَّ الذهاب، أمي، لذا لا تتدخلي.

لم تتصور للحظة أن الرحلة تهدد حياتها «فترايلزوست» تسعى إلى استبعاد الوكالات غير الكفوءة وليس إزالتها من الوجود.

ناحت اميليا: «ماذا تقصدين بألا أتدخل؟ كيف لا أفعل فيما سأبقى بضيافة تلك المرأة لأسبوع بأكمله؟ تعلمين جيداً أني لا أحبُّ سوزان تلك»

أجابت هيثر وهي تفتح الباب: «يمكنك البقاء هنا إذا أردت».

ما كانت هذه الضغوط تنقصها، ألا يكفي ما تبذله من جهد لتخطي عمليَّة الغربلة التي تفرضها «ترايلزوست» على شركات الإعلان المتنافسة، فضلاً عن محاولة تجنب هنتر وأمور أخرى كثيرة؟ ألا يمكن لأمها أن تدعمها ولو لمرّة واحدة؟

وضعت أميليا يدها على قلبها متفجعة وقالت: «لا يمكنني البقاء وحدي، تعرفين ذلك جيداً يا هيثر».

كانت هيثر تعلم أن سوزان تظن عكس ذلك. أما هي فلا، لأنّ أمها لا تقوم بأي أعمال منزلية تُذكر. غالباً ما يتأقلم ذوو الإعاقة الجسدية مع وضعهم لكن أمها عانت الكثير من المشاكل إضافة إلى وضعها الأليم.

- أجل أمي أعلم ذلك، لذا سيقوم ساول وسوزان برعايتك أثناء



www.elromancia.com

رحلتي القصيرة.

خرجت هيثر من الشقة متوجهة إلى السلالم. لقد اعتادت استعمال المصعد في الوصول إلى الطابق الرابع، أما اليوم فقررت النزول على السلالم. عليها الاعتياد على القيام بمزيد من التمارين، من الآن وصاعداً.

أملت أن يجيد ساول وسوزان العناية بأمها، غير أن العمة سوزان على اقتناع بأن ملايين الرجال والنساء المقعدين على كرسي نقّال قادرون على الاتكال على أنفسهم تماماً، كما يستطيعون العمل وتدبّر أمور منازلهم واسرهم.

سبق لسوزان أن قالت لهيثر إنّ أمها قادرة على الاعتماد على نفسها واتهمتها باستغلال عاطفة ابنتها.

أحياناً، كانت هيثر تكاد تصدق أقوال زوجة عمها، لكن سرعان ما تشعر بالذنب، فتكبت أي رغبة لديها في الاستقلال وتشكر الله على نجاة أمها من الحادث الذي أودى بحياة أبيها.

بعد حوالى الساعة، خرجت هيثر من المصعد عائدة إلى شقتها في الطابق الرابع. لقد كان البائع محقاً حين أشار إلى ضرورة التعوّد على انتعال الحذاء الرياضي، إذ شعرت بوجود بثرة ما في قدمها اليسرى، إنما لديها الوقت الكافي لمعالجتها قبل أن تسوء حالها.

مرّ الاسبوعان التاليان بسرعة وكانت هيثر تواظب يومياً على ارتداء ثياب التخييم، بالرغم من نظرات أمها وتعليقاتها الغاضبة. دأبت هيثر، أثناء ساعة تناول الغداء على صعود تلال سياتل، كما كانت تذهب إلى عملها وتعود مشياً على الأقدام وتصعد السلالم كلما تسنت لها الفرصة. أدركت أنها ليست مستعدة تماماً بعد، إلا أنها حضرت نفسها على الأقل بأفضل ما يمكن.

وعند عودتها إلى المنزل مساءً، كانت توضّب حقيبة أغراضها مراراً وتكراراً وتمضي ساعة أو اثنتين وهي تتدرّب على حملها. في بادىء الأمر،



ارتبكت قليلاً لكنها سرعان ما تعودت وأصبحت مع نهاية الأسبوع الثاني تنزل وتصعد السلالم والحقيبة على ظهرها.

كانت تتجادل يومياً مع أمها التي حاولت إعادتها إلى صوابها كما كانت تدّعي.

لكن كلما اقترب الموعد، كلما ازدادت هيثر إصراراً على أن تبلي حسناً. كانت تدين بذلك لعمّها ولنفسها كذلك.

قد لا يسمح هنتر برادّوك لشركة «جاكسون أند برينس» بالحصول على المشروع، لكنها لن تجعله يبرّر ذلك بعدم أهليّة شركة عمّها وكفاءتها.

وأخيراً، حلّ يوم السبت المنتظر. فحضّرت هيثر حقيبة ظهرها وفقاً للتعليمات واكتفت بوضع أغراض شخصية مكتفية بمرطب واحد للبشرة فضلاً عن واق من أشعة الشمس. حتى القبعة التي اختارتها يمكن طيّها لئلا تحتل مساحة في الحقيبة.

واقتصرت الكماليات الأخرى على كاميرا رقمية ودفتر مذكرات وبضعة أقلام رصاص. ستستغل وجودها في أحضان الطبيعة لالتقاط بضع صور قد تحتاجها لتصميم اعلانات لاحقة.

كانت هيثر عند الانتهاء من توضيب حقيبتها وحيدة، فأمها ذهبت إلى منزل ساول في الليلة الماضية من دون أن تكف عن التذمر.

ورغم تحلّي سوزان بأفضل حلل اللياقة، إلاّ أنّ موقفها من استغلال اميليا لهيثر لم يكن خافياً على أحد. كان الموقف ليغدو أكثر حرجاً لو لم ترحل هيثر قبل سماع المزيد من اعتراضات أمها. ستدع الأمر لساول فلولا اصراره على قيامها بالرحلة لما اضطر لاستقبال أمها في منزله وتركها مع زوجته.

رفعت هيثر الحقيبة ووضعتها على ظهرها بشكل مريح قدر الإمكان. وهكذا، هيأت نفسها على أفضل نحو ممكن. أجالت النظر في أرجاء شقتها متمنيّة لو تستطيع أن تقرأ كتاباً وتستلقي طيلة عطلة نهاية الأسبوع.

وبعد وقت قصير، وضعت الحقيبة في سيارتها الصغيرة وتوجهت إلى

الشلالات، وهي نقطة التجمّع التي تبعد ساعتين عن سياتل. انطلقت هيثر وقد تملّكها إحساس بالاضطراب خالطه الأمل في أن تظهر بمستوى الفِرَق الأخرى المشاركة.

وكانت كلما ابتعدت عن المدينة كلما غمرها الفضول ومتعة الإحساس بالحريّة، فهي لم تبتعد طوال تلك السنين عن أمها. صحيح أنها لم تكن تلازمها كظلها، إنما مجرد فكرة قضاء أسبوعين بعيداً عنها كانت مستحيلة لا سيما إذا لم يتكفل أحدٌ ما برعاية أميليا والبقاء معها. لم يكن لهيثر العديد من الأصدقاء نظراً لضيق وقتها فرعاية أمها والاهتمام بشؤونها كانا يشغلان حياتها وبقيانها في المنزل معظم الأحيان.

وسرحت مع أفكارها فخطر لها كم كانت حياتها لتختلف لولا الحادث الأليم الذي قلب قدرها رأساً على عقب. لقد خسرت والدها وهي في التاسعة عشرة من عمرها وتحمّلت مسؤولية والدتها باكراً بعد أن كانت حياتها خالية من المشاكل ومستقبلها مضموناً بعد إنهاء دراستها الجامعية. نعم، كانت قد خططت لمستقبل بَنَت أولى دعائمه بالزواج.

لم يعلم والداها قط بزواجها، إذ صبّا تركيزهما كله على تحصيلها العلمي، فلم تجرؤ على إخبارهما عن مشاعرها العميقة نحو هنتر. وحين حاولت إشراكهما في سعادتها بإخبارهما ليلة الميلاد عن الرجل المميز الذي دخل حياتها عارضاها وراحا يذكرانها بالهدف الذي ينبغي أن تضعه نصب عينيها ألا وهو التخرج. وهكذا، تزوجت في شباط من دون علمهما، مقنعة نفسها أنهما حين يطلعان على علامات نهاية العام سيدركان أنها تستطيع الزواج ومتابعة الدراسة في آن معاً.

وكم كان جامحاً ذلك الحب. كانت مغرمة جداً بهنتر وبادلها هو الغرام. كانا يحسّان أن العالم بأسره بين أيديهما. سعت للحصول على شهادة في التعليم فيما كان هو قد قطع نصف الطريق في سعيه لنيل شهادة جامعية في الأعمال، مخططاً لبناء امبراطوريته الخاصة. وإن كانت «ترايلزوست» ثمرة جهوده فهذا دليل على تحقيقه الهدف، الحلم.



أما هي فلم تتمكن حتى من إنهاء السنة الأولى.

تنهّدت هيثر عميقاً متسائلة عن أحوال هنتر... هل تزوّج ثانية؟ هل رُزق بأطفال؟

آلمتها الفكرة، فهما لم يتحدثا أبداً عن الإنجاب أثناء زواجهما، لكنها كانت تتوقع أن تنجب الكثير من الأطفال. كانت طفلة وحيدةً ولطالما حَسَدت أبناء عمّها، أي فليتشير وإخوته. كما كانت تحب العطل التي يمضونها مع عائلة أوين حيث يمرح الجميع ويضحك ويتحاور في جوٍّ من المحبّة والاحترام.

لو قدّر لها أن تحقق أمنية واحدة لتمنت عدم حصول الحادث.

أما لو استطاعت تحقيق أمنيتين لتمنّت لو لم تترك هنتر كما فعلت، واضعة حداً لعلاقة حب رائعة.

مع اقتراب هيثر من منطقة الشلالات، اختلفت طبيعة الأرض، فظهرت سلسلة من التلال المكسوّة بأشجار الصنوبر والسرو، وقلّت معالم الحضارة، فيما انسابت الجداول تحت الجسور. كانت المشاهد كلها هنا ممتعة، ومع أن هيثر لم تكن واثقة من قدرتها على القيام بالرحلة، إلا أنها قررت الاستمتاع بكل لحظة تمضي.

أدركت عند رؤية اللافتة التي تشير إلى منتجع «بير ريفر» أنها اقتربت من المكان المحدد فاضطربت. وكيف لا تفعل، ومستقبلها متوقف على رحلة التخييم التافهة هذه، ويا له من مستقبل!.

ما إن انعطفت هيثر بسيارتها حتى لاحت لها المساكن الريفية الهادئة فتوقفت حسب التعليمات إلى جانب الطريق، حيث رأت رجلين من المجموعة ينتظران وصول الآخرين بالقرب من الحقائب.

وضعت هيثر الحقيبة على كتفها وتوجهت إلى الرجلين بابتسامة مشرقة، قائلة: «أأنتما هنا من أجل الرحلة التي تنظمها «ترايلزوست»؟».

رمقها أحدهما بنظرة من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها، هازاً رأسه وسألها: «وهل أنت ذاهبة؟».

أجابت محاولة التظاهر بثقة زائفة، قبل أن تضع حقيبتها على الأرض بجانب الحقائب الأخرى: «نعم، طبعاً».

تقدّم الرجل الآخر بلهفة ومدّ يده ليصافحها بيدين قويتين وهو يبتسم قائلاً: «أدعى بيل إيفانز، من شركة «تيري أندروس» الإعلانية. أتحرق شوقاً لمزيد من المفاجآت، فلم أتوقع وجود سيّدة في رحلة مقرّرة للرجال فقط».

ابتسمت هيثر بتهذيب وعرّفت عن نفسها وعن الشركة التي تمثل.

أجاب الرجل الآخر: «أنا جون موردن من شركة «ستاتون بورترز» إحدى وكالات الإعلان الرائدة في سياتل».

أدركت من طريقة لباسه وحذائه أنه اعتاد العيش في الطبيعة والسّير في ممراتها الوعرة.

قال بيل: «يا لها من طريقة اعتمدتها الشركة لاختيار شركة الإعلانات المناسبة».

- أعتقد أن عملية فرز الفرق المتنافسة بين هواة ومحترفين حقيقيين لانتقاء الأفضل، طريقة جد مبتكرة.

وتابع جون قائلاً: «لقد أمضيت حياتي في رحلات تخييم و«ترايلزوست» تؤمن المعدّات الرياضية الأفضل في هذا المجال. أنا شخصياً لا أجد أي مشكلة في ابتكار إعلان عندما أؤمن بجودة منتج ما، ويسرّني قيام الشركة بافتتاح فرع في هذه المنطقة من البلاد».

هزت هيثر رأسها وهي تشعر بغربة عن المكان. كيف خطر لها للحظة بأن الحظ سيحالفها؟ شعرت بأن عليها العودة من حيث أتت بمجرّد النظر إلى جون. إنه فعلاً محترف!.

وما لبثت سيارة أخرى أن توقفت في الموقف لينضم رجل ثالث إلى المجموعة الصغيرة بعد بضع لحظات.

قال بثقة: «أدعى بيتر هاورد من وكالة هاورد، مرسيل وبالكير. لم أتوقع مشاركة هذا العدد».



همست هيثر التي عرّفت بنفسها وانتظرت ليحذو الباقون حذوها: «نحن خمس فرق على ما جاء في البيان».

رد بيتر وهو ينظر إلى هيثر: «أعلم بذلك، لكني لم أتوقّع حضور الجميع، فالمهمة تعتبر وقتاً ضائعاً للشركة. أما أنا فيمكنني المشاركة لأني شريك في الوكالة على عكس المدراء التنفيذيين الباقين».

وصمت لحظة ثم أضاف: «وعليّ الإعتراف سيدتي بأنك مغامرة لأن قلّة من النساء يرغبن في البقاء في البراري لأيام برفقة رجال مغامرين. فهل أنت واثقة من أنك تستطيعين إكمال المسيرة إلى النهاية، أم اننا سنضطر لطلب فرق الطوارىء لإخراجك قبل نهاية اليوم الأول؟».

وأطلق ضحكة لم تستهو هيثر مطلقاً. فقالت بحزم: «أنا مصممة على القيام بهذه الرحلة».

أملت ألا تفضح ضربات قلبها الاضطراب المتأجج بين اضلعها وتمنت لو ينطلقون فوراً.

وصلت سيارة سوداء إلى الموقف تليها سيارة مستأجرة حمراء داكنة. وما إن توقفت السيارتان الأخيرتان بجانب سيارة هيثر حتى ترجّل آخر المشاركين في الرحلة.

كان آخر المترجلين من السيارة المستأجرة يرتدي سروال جينز ممزقاً عند ركبتيه، ويعتمر قبعة عريضة. حذاءه فقط كان حذاءاً رياضياً تقليدياً.

رفع حقيبة ظهره إلى كتفه وكأنها ريشة، إلا أن انتباهها كان مشدوداً إلى الرجل الآخر الذي ترجّل من السيارة السوداء. وللحظة توقف الزمن... تسارعت دقات قلبها وتدفق الدم إلى وجهها؛ لما لا، وأسوأ كوابيسها ماثل أمامها؟

أقفل هنتر برادّوك باب السيارة، ورفع بيد الحقيبة وبالأخرى حقيبة قماشيّة منتفخة وتوجّه نحو المجموعة.

## ٢ - لن تنام

جال هنتر بنظره على المجموعة التي تنتظره ومن ثم التفت إلى الحقائب المتراكمة. أمل أن تكون طريقة آلان في اختيار أفضل وكالة إعلانات، صائبة. فهو شخصياً يعتقد أن قدرة رجل ما على القيام برحلة تخييم لا تعكس بالضرورة قدرته في مجال الإعلان والإعلام.

لاحظ وجود امرأة ضمن المجموعة، فأزعجه ذلك. لقد اتخذ قرار الحلول محل آلان في اللحظة الأخيرة ولم يجلب معه سوى ثلاث خيم. ولذا فإنه سيصعب حل بعض المشاكل اللوجستيّة.

وحين دنا أكثر تسمّر في مكانه. هذه المرأة ليست سوى هيثر! وانقطعت أنفاسه للحظة غير مصدّق ما رأى. فآخر مرة رأى فيها هيثر كانت حين خرجت من شقتهما وهي تردد أنها لا تريد رؤيته مجدداً. ماذا تفعل هنا؟

قال أحد رجال المجموعة وهو يأخذ منه حقيبة القماش: هنتر برادوك، أليس كذلك؟ أدعى بيل إيفانز، دعني أساعدك.

أبعد هنتر نظره عن هيثر والتفت إلى الرجل.

- شكراً، أنت بيل إيفانز من شركة «تيري أندروس»؟

سأله هنتر الذي دوّن أسماء الشركات المشاركة في هذه الرحلة مع شهرة المدراء التنفيذيين من دون أن يخطر في باله اطلاقاً أن هـ. جاكسون ممثلة شركة «جاكسون أند برينس» هي نفسها هيثر.

ما لبث أن تقبّل على مضض حقيقة أن زوجته السابقة استعادت شهرتها بعد طلاقهما. ولكن هل توقّع غير ذلك؟ فزواجهما لم يدم سوى



ثلاثة أشهر وبضعة أيام وكان هذا منذ زمن بعيد، بعيد جداً.

لقد حضر بداعي الأعمال، ولعل مسودة الإعلان الذي قدمته جيدة حتى تم اختيارها ضمن المجموعة. لا شك أن اختيار آلان للمتنافسين مبني على جودة الأعمال التي عرضوها فهو لا يعرف شيئاً عنهما. فهلاّ تصرف هو أيضاً وكأنه لا يعرف شيئاً؟.

قال بيتر وهو يتقدم لمصافحة هنتر: «أنا بيتر هاورد يا سيّد هنتر. لم أتوقع حضور الرئيس شخصياً، تسرني مرافقتك».

هزّ هنتر رأسه ووضع حقيبته بجانب حقائب الآخرين ثم صافح كل من بيتر وبيل إيفانز وجيس تاونسند، وراعي البقر. وبعدئذ التفت إلى هيثر.

كانت تراقبه بعينيها الواسعتين بحذر. ما زال سحر المزيج الرائع للعينين البنيتين والشعر الأشقر يفتنه. بدت بنحافتها وهندامها أشبه بلعبة. كانت ترتدي ملابس جديدة وتضع أظافر اصطناعية أما تسريحتها فلن تدوم يوماً واحداً. لا شك أنها ستنسحب منذ بداية الرحلة.

قال أخيراً: «هيثر».

لم يكن هناك من داع للمصافحة، فهو لا يجرؤ على لمس بشرتها الناعمة مجدداً. وسرت القشعريرة في أصابع هنتر بمجرد أن تذكر نعومة تلك البشرة.

أجابت قائلة: «هنتر».

لاحظ جيداً كيف سعت جاهدة لعدم إظهار مشاعرها وإبقاءها دفينة.

هل توقّعت رداً مميزاً؟ إن كان كذلك فقد منيت بخيبة أمل كبرى إذ لم يعد لديه ما يقدمه لها، وما بينهما انتهى منذ زمن بعيد. أدار ظهره لها لينظر إلى الآخرين.

- كان من المفترض أن يقود آلان أوسبورن هذه الرحلة إلا أنه تعرض لحادث دراجة وكسر كاحله. وصلت للتو من دنفر، لذا سنختصر النهار الأول. اعتقد أن كلاً منكم جلب الأغراض المطلوبة، لقد جلبت الخيم بدوري وسنحمل الأغراض مناوبة فهي ليست ثقيلة، خيمة واحدة تتسع

لشخصين.

ونظر إلى السماء نظرة خبير بالمناخ، ثم تابع قائلاً: «تشير الأرصاد الجويّة إلى أنّ الطقس سيبقى صافياً في الأيام القليلة المقبلة مع احتمال بسيط لسقوط الأمطار في أواخر الأسبوع، لنأمل إذاً أن يتأخر سقوط المطر».

عندئذ ضحك بيتر قائلاً: «إن كانت كل خيمة لاثنين منا، فأتبرع بمشاركة خيمتي مع هيثر».

ونظر إليها بمكر وخبث.

حبس هنتر أنفاسه، فمع أنه لم يرَ المرأة منذ عشرة أعوام ولم تَعُد تعني له شيئاً له إلا أن الرجل تفوه بكلام خاطىء.

ردَّ هنتر بصورة قاطعة: «لن تشارك هيثر سواي».

قال بيتر: «حسناً، علينا أن نتشارك كل بدوره، لتحقيق العدالة».

سارعت هيثر إلى القول: «لن أحتاج إلى خيمة، أستطيع النوم في العراء».

تجاهل هنتر ملاحظة هيثر وقال: «إن كان الكل مستعداً، فلنتطلق. ألديكم كل ما تحتاجونه؟ هل يرغب أحدكم في شيء ما قبل الانطلاق؟».

- نعم.

والتفت ليرى هيثر تتوجه إلى الاستراحة فتذكر المرّة الأخيرة التي رآها فيها ترحل وظن أن العالم انتهى. واشتعل غضباً لسخرية الحياة والقدر.

قال جيس وهو يهرول وراءها: «أنا أيضاً ذاهب».

أخذ الباقون يحدثون هنتر عن مسار الرحلة وموقع التخييم والأهداف المنشودة فرفع عينيه عن هيثر ليلتفت إلى الرجال الذين يحدثونه.

- آمل أن أتعرف إليكم أكثر وأستعرض مع كل منكم تصوّره للإعلان عن «ترايلزوست» وأزودكم بكل ما تحتاجون إليه لأحصل منكم على أفضل النتائج.

قال هنتر مضيفاً: «يعتقد آلان أن إلمام المدير التنفيذي بأحد مجالات



الإنتاج في شركتنا ينعكس إيجاباً على التغطية الإعلامية. لا شك أننا نحبّذ إلمام المديرين بكافة مجالات الإنتاج ولو بصورة جزئية».

قال بيتر بثقة مضيفاً: «هذا ما ستجده في هاورد، مرسيل وبايكر».

ثم أضاف: «لا بد أن تجد في وكالتنا خبيراً في كل من مجالات السير في الطبيعة، والتزلج، وكرة القدم أو كرة القدم الأميركيّة».

هز هنتر كتفيه قائلاً: «ما زال الوقت مبكراً. علينا أن نرى أولاً، أليس كذلك؟».

تأخرت هيثر قدر الإمكان في غرفة السيدات متردّدة في الخروج ثانية، فغسلت يديها ووجهها ونظرت إلى نفسها في المرآة فابتلعت ريقها بصعوبة. كانت تشك في قدرتها على النجاح في المهمة أما الآن فهي على يقين من أنها لن تتمكن من تمضية أسبوع كامل برفقة هنتر.

كيف يمكنها أن تشاركه خيمته؟ مستحيل. ما الذي يدور في رأسه؟

وهذا لا يعني أنها تود تمضية الليل برفقة بيتر.

لم تكن أصلاً بحاجة إلى خيمة. سوف تجد لها مكاناً مستوياً وتنام في العراء. أو ليس هدف الرحلة الأول هو التقرب من الطبيعة بواسطة منتجات «ترايلزوست»؟ يفترض بالطقس أن يكون صافياً، وقد تلجأ إلى الخيمة في حال أمطرت، وفي هذه الحالة فقط.

«قولي لهم إنك لم تعرفي أنّ الرحلة مخصصة للرجال، قولي إنك غيرت رأيك». وراحت هيثر تفكر في حلّ للمأزق، لكنها ستخسر أي فرصة للحصول على المشروع، المشروع الذي يبني عليه عمها آماله، وعليها كالعادة التصرف كفرد مطيع من العائلة. فأخذت هيثر نفساً عميقاً مصممة على المتابعة حتى النهاية. أحسّت بالمسؤولية تثقل كاهليها. لمَ عليها أن تلعب دوماً دور المنقذ؟ لم تكن هذه المرّة الأولى التي تتمنى فيها هيثر أن يكون لها أخ أكبر يخفف عنها بعضاً من تلك الواجبات.

انضمت مجدداً إلى المجموعة، فهي لن تستسلم مهما حصل. شركة «جاكسون أند برينس» تعتمد عليها، وأمها أيضاً.

بدت الدهشة على هنتر وهو يراها تعود. ماذا، هل يظن أنها ستنحني أمام جلالته؟ لقد مرت سنوات طوال على انفصالهما، وربما حان الوقت لكي يرى من أي معدن هي. أملت أن يكون هذا كفيلاً بإزالة انطباعات الماضي الأليم وإظهار ما يدفعه إلى الإعتماد عليها في مجال الأعمال على الأقل.

قالت في سرّها: انسي الماضي، فما الذي ينتظرك هو المهم.

* * *

أعطى هنتر كلٌ من جيس وجون خيمة وربط الخيمة الأخيرة بحقيبته الخاصة. رفع هنتر، كالآخرين، الحقيبة إلى ظهره ملاحظاً الصعوبة التي تواجهها هيثر من دون أن يحاول مساعدتها. لتتدبر أمورها بنفسها فهو لم يأتِ لتقديم الخدمات!

أصبح الكل حاضراً للانطلاق بقيادة هنتر، في أقل من عشر دقائق. ولاحظت هيثر كيف سارع بيتر للانضمام إلى القائد لإخباره عن الخطط الجهنميّة التي تحضرها شركته للترويج لمنتجات «ترايلزوست».

همس جيس في أذن هيثر وهو يراقب طريقة تصرفات منافسه بيتر: «يبدو الأمر خطيراً».

سألت هيثر ساخرة: «هل تظن أنه سيتوقف عن الكلام، طوال هذا الأسبوع؟».

فهز جيس كتفيه قائلاً: «ألسنا هنا لهذا السبب، كي نقنع هنتر أن وكالة كلٌ منا هي الأفضل؟».

تعجّبت هيثر للفكرة وسألت، «أحقاً؟ ظننت أن هدف الرحلة هو تجربة المنتجات والتعود عليها».

كانت المسيرة قد بدأت فهز جيس رأسه وأشار إلى هيثر بمتابعة السير إلى جانبه خلف جون وبيل، ثم قال: «أنا أعرف كل التفاصيل عن المنتجات، فالشركة حيث أعمل مقرها في دنفر، وقد سبق لنا أن نفذنا المشروع الإعلاني هناك. ونحن نسعى للحصول على مشروع شمالي غربي



الهادىء. نحن كنا وكلاء الشركة منذ تأسيسها في دنفر ونعرف منتجاتها جيداً».

قالت هيثر: «أجل إنها منتجات جيدة. يُعجبني كذلك تخصص الموظفين في مختلف المجالات ومساعدتهم للزبائن».

لم تتكلم هيثر سوى عن تجربتها وكانت ممتنة جداً للمعلومات التي زوّدها بها موظف المبيعات.

– وهذه هي ميزة المتجر الأساسيّة، حتى أن التعليمات الموجودة عن أي من المعدّات الرياضيّة مفيدة جداً.

إذن، لا يكفي أن تنتهي الرحلة بنجاح وتدّعي أنها تستمتع وتجرّب المنتجات، بل يجدر بها اقناع هنتر باختيار الشركة التي تمثلها.

كادت تضحك لسخرية الموقف. كان على فليتشر أو أي شخص آخر أن يأتي، فوجودها سيجعل ضياع الفرصة الثمينة أمراً محتماً.

كانت الأرض حيث وصلوا قليلة الانحدار، مفروشة بإبر الصنوبر والسرو. ومشى جيس وراءها صامتاً على عكس بيتر الذي راح يتحدث من دون توقف. لم تكن تسمع كلامه بوضوح لكنها استطاعت تمييز نبرة صوته التي تعلو حيناً وتنخفض حيناً آخر. هل كان هنتر مهتماً فعلاً بحديث بيتر أم منزعجاً؟.

أخذت هيثر تكحل عينيها بالمناظر من حولها من دون اكتراث بمن يرافقها، فالمشاهد في الغابة غاية في الروعة. أشجار عالية ذات جذوع مستقيمة قاتمة، وإبر سرو وصنوبر تفترش الأرض وتحف حفيفاً ناعماً تحت أقدام المشاة. كانت هيثر تسمع أصواتاً غريبة من حين إلى آخر إلا أنها لم ترَ مطلقاً أي حيوانات.

الهواء المنعش والنقي أضفى على النزهة إيقاعاً جميلاً هدّأ أعصاب هيثر. ستعطي أفضل ما عندها، هذا جلّ ما تستطيع فعله. وعندما يبدي عمها أسفاً على خسارة المشروع فسيعلم على الأقل أنها بذلت قصارى جهدها.

إنما يبدو أن الأمور تعاكسها منذ البداية.

أمل هنتر أن يجد فسحة غير مكسوّة بالأشجار في أقرب وقت. وحين وصلوا إلى إحداها قرر التوقف للاستراحة وتعديل تقسيم المجموعة بحيث لا يضطر إلى تحمّل بيتر طوال الوقت، وإلا فسيصاب بالجنون التام. هذا الرجل المتفاخر يتباهى بأمور مستحيلة وشخصيته تعاني من خلل.

كان يعرف جيس من دنفر ويمكن للرجلين مناقشة وصول فريق «البرونكوس» إلى «سوبر بول» أو التحدث عن موسم التزلج المقبل. وكان هنتر يعلم أن عليه التحدث إلى المتنافسين مداورةً، إلا أنه لم يتوقع تمضية أي وقت مع هيثر بمفرده.

هل كان عليه إبداء ملاحظته الغبية عن مشاركته لهيثر الخيمة ذاتها؟ لتتدبر أمورها بنفسها، وإن رغبت بمشاركة الخيمة مع رجال آخرين مثل بيتر فهذا شأنها لأنها لم تعد تحت حمايته، وهي لم تعد تعني له شيئاً على أي حال. لقد أوضحت ذلك عندما اختارت عائلتها وهجرته منذ سنوات.

حاول هنتر إعادة النظر في أسباب هذه الرحلة لتحويل الانتباه عن بيتر. لم تعجبه فكرة آلان أبداً نظراً للظروف الراهنة. ألم يكن اختيار الإعلان الأجمل كافياً؟ أما أمكنه تجاهل موضوع خبرة المدير التنفيذي؟ فخبراء التخييم ليسوا بالضرورة أفضل مصممي الاعلانات.

ورغم محاولته شغل نفسه إلا أنّ حقيقة أنّ هيثر جاكسون لا تبعد عنه سوى بضعة أقدام شغلته، بل لعلها السبب في امتعاضه من الرحلة كلها.

قاوم هنتر محاولة ذاكرته الرجوع إلى الوراء، إلى مرحلة زواجه القصير بهيثر. لطالما ظن أنهما لن يفترقا أبداً، ولكن زواجهما لم يصمد في وجه أول مشكلة اعترضتهما وفرقتهما. لقد فضلت عائلتها على زوجها، فهل أحسّت يوماً بالندم؟

لا بد أن الإحساس بالندم أمر صعب لكنها السبب في انفصالهما وعليها أن تتحمّل العواقب. كان يستطيع تخيلها بجسدها النحيل من دون النظر إليها. شعرها المسرّح وأظافرها الاصطناعية دليل على نجاحها نوعاً



ما، تماماً كوجودها هنا بينهم. لقد تبدلّت هيثر كثيراً فلم تعد تلك الزوجة الخالية البال، الساعية إلى التعلّم.

وجد هنتر فسحة بعد منعطف حاد، فتوقف وبدأ يفك حقيبته.

سأل بيتر وهو ينظر من حوله: «هل سنمكث هنا؟ ما زلت استطيع السّير لكن إذا أردت أن تعطي الآخرين فرصة للاستراحة، فلا بأس. نريدهم أن يتمكنوا من قضاء النهار الأول على الأقل، أليس كذلك؟».

تجاهل هنتر ملاحظة بيتر فهو ليس بشريك له. كما قرّر في حال استمر بيتر على الوتيرة ذاتها أن يلغي احتمال التعامل معه ليتأكد من أنه لن يضطر إلى الاستماع إليه طوال الوقت. وانضم الآخرون واحداً تلو الآخر إلى المجموعة.

قال هنتر متفادياً النظر في عيني هيثر: «سنرتاح هنا عشر دقائق».

وصمت لحظة ثم أردف قائلاً: «ومن ثم ستتبادلون الأدوار في التحدث معي، فينال كلٌّ منكم فرصته لإبداء رأيه. آمل أن ننتهي من هذا غداً لنستمتع بتجارب الرحلة قدر الإمكان من دون تنافس في الحصول على المشروع. هل من أسئلة؟».

هزّ جون موردن رأسه قائلاً: «إلى أي مدى تريد اختبار معرفتنا بمنتجاتكم؟ لطالما قمت برحلات تخييم واستعملت الكثير منها. لا بد أن آلان أعجب بالمشروع الذي قدمناه وإلا لما اشتركنا ثانية. عمَّ تبحث بالضبط؟».

– ليس الكثير، في الواقع. فكل ما أطلبه هو التعرف أكثر إلى كلٍّ منكم على المستوى الشخصي.

أحسَّ هنتر بالندم على مثل هذا الكلام فهو يعرف هيثر جيداً وعلى المستوى الشخصي.

ابتسمت ملامح زوجته السابقة بالعبوس فودَّ لو يخبرها أن ما قاله مجرَّد زلّة لسان لكنه اكتفى بتوجيه الحديث إلى المجموعة كلها وبشكل غير شخصي.

وسأله جيس مجدداً: «هل رأيت الإعلانات؟».

- لقد جلبتها معي، وهي في السيارة. تفحصتها أثناء الرحلة إلى هنا، لذا يمكنكم إخباري بالخطط الطويلة الأمد وبالأفكار الأخرى. كما سبق وقلت، إنها فكرة آلان، ولست هنا سوى بناء على طلبه.

سأل بيتر: «ولكن بصفتك الرئيس، على الجميع إطاعة أوامرك، أليس كذلك؟».

هز هنتر رأسه وهو يلتفت إلى هيثر من جديد فرآها تحدّق إلى الأفق البعيد تفادياً لنظراته المباشرة.

جلس جيس أرضاً متكئاً إلى الحقيبة وهو يقول: «علّنا نستفيد من هذه الاستراحة».

ووضع قبعة راعي البقر على وجهه ليستفيد من قيلولة.

أما هيثر فقد وضعت حقيبتها مسرورةً للاستراحة. لقد تمرّنت كثيراً على وضع الحقيبة ونزعها لكن الساعتين الماضيتين من السَّير المتواصل انهكاها، فيما آلمتها كتفاها كثيراً. ورغم هذا، فقد سحبت آلة التصوير من حقيبتها بعد أن قررت أن تلتقط بعض الصور للمجموعة، لاسيما لجيس وهو نائم.

كان بيل وجون متكئين على إحدى الشجرات القريبة بجانب حقائبهما يتحدثان. أما بيتر فلا يزال يتحدث إلى هنتر، لذا استدارت هيثر مسرعة لأنّ آخر ما تريده هو التقاط الصور لهنتر برادوك. إلاّ أنها كانت تتوق إلى ذلك، ودّت أن تأخذ تذكاراً منه تبقيه معها للسنوات الآتية. يا له من أمر محزن! لقد اختارت طريقها منذ زمن بعيد ولا جدوى من الندم الآن.

لطالما تمنت في السنوات العشر الأخيرة لو اختلفت الأمور. ليت حاجتها للمال لم تكن ماسَّة بعد الحادث الأليم، وليت أمها لم تكن بأمس الحاجة إلى كل ما تملك من طاقة!

كم كانت لياليها الطويلة حالكة، والدموع التي ذرفتها على هنتر غزيرة! سنوات طوال أليمة وحزينة...



رفعت هيثر كتفيها والأمل يحدوها لمتابعة الرحلة على أفضل وجه.

كانت الساعة تشير إلى الثانية ما يعني ساعات طوال قبل نصب الخيم. جالت هيثر بناظريها على الغابة من جديد. كم كانت تشعر بالوحدة، فالكل له رفيق يتحدث إليه ما عدا جيس الذي غط في النوم من جديد.

لم تمض بضع لحظات حتى نادى هنتر الجميع للانطلاق من جديد.

هذه المرة، سار جيس إلى جانب هنتر فيما تبعهما بيتر وهيثر. لم يؤثر ابتعاد بيتر عن هنتر في طلاقة لسانه فثابر على التحدث إلى جيس وإخباره عن شركته وتوسعها والنجاح الذي لاقته في سياتل، وتوقعاته عن الثورة التي ستحدثها إذا ما ربحت مشروع «ترايلزوست».

لم يحتمل جيس الاستماع لبيتر سوى بضع دقائق قبل أن يجبره على السكوت ليتيح له فرصة الاستمتاع بجمال الطبيعة بدلاً من سماع التفاهات والتباهي.

ابتسمت هيثر تأييداً لما فعله جيس، فردّ عليها برفع قبعته.

كان الصمت يخيم سلاماً على المجموعة فأدركت هيثر السبب الذي يجذب الناس إلى التنزه في الطبيعة والتخييم. إنها فرصة مثالية للاقتراب من الطبيعة وممارسة نشاطات ألهاهم ضجيج المدينة عنها.

نسيت هيثر لبرهة كل ما يتعلق بأمها وبالمشاكل المادية الضاغطة والأحلام المسروقة التي لن تتحقق يوماً، وتعجبت كثيراً لما أحسّت به من متعة.

وبعد ثلاث ساعات من المشي، كادت تنهار كلياً، فجعلت تركز على خطاها وتضع قدماً أمام الأخرى بانتباه وحرص شديدين. لقد فقدت الإحساس بقدميها منذ وقت طويل كما راحت كتفاها تحرقانها بسبب الحمل الثقيل ورأسها يثقل مع كل خطوة. ومع مرور كل دقيقة كانت تشعر أنها ستتوقف وتدع الآخرين يكملون المسير من دونها، لكنها ظلت تقاوم وتطرد الفكرة، فهي لن تستسلم منذ اليوم الأول للرحلة.

كادت تصيبها بالجنون. وتمنت لو تحذو حذو جيس فتجعله يصمت.

سارع كل من جون وبيل إلى اشعال النار وهذا ما كان يبعث الدفء في جسد هيثر كلما دنت لتضع الأغصان التي جمعتها.

أخذت ساعات بعد الظهر تنقضي سريعاً. ومع غروب الشمس، انخفضت الحرارة ففكرت هيثر في ارتداء معطفها حالما تجلب رزمة أخرى من الحطب.

قال جون حين رمت الأغصان على الأرض: «هذا يكفي. سيكفينا الحطب الذي جلبتماه حتى الصباح».

هزّت هيثر رأسها وسارعت إلى حقيبتها لتتناول المعطف الدافىء.

سألها جيس وهو يمرُّ بجانبها حاملاً إحدى الخيم: «هل أنت بخير؟».

- لا بأس.

توقف متردداً للحظة قبل أن يقول: «أعرف أن هذا ليس من شأني، لكن عليك إعادة النظر في مسألة النوم في العراء. فمع حلول الفجر، يرطّب الندى حقائب النوم ويجعلها باردة أكثر مما تظنين. الخيمة تعزلك عن الخارج فيما تدفىء حرارة أجسام النائمين فيها الجو فتمضين الليل بشكل مريح».

سألته هيثر فجأة: «هل لي أن أشاركك خيمتك، إذاً؟».

فهي لم تكن ترغب في النوم ملتحفة السماء ونجومها إلا أنها لا تودُّ أيضاً قضاء الليل بمفردها مع هنتر في تلك المساحة الضيقة.

التفت جيس إلى هنتر الذي يقيم خيمته على بعد بضع خطوات، ثم قال: «لا أرى مانعاً في ذلك، فأهدافي تختلف تماماً عن أهداف بيتر».

ابتسمت هيثر قائلة: «حمداً لله على ذلك، فكل ما أريده هو التسلل إلى كيس النوم والنوم حتى الفجر».

- عادة ما يكون اليوم الأول صعباً والثاني أقل صعوبة ومن ثم نعتاد الأمر.

- سأتذكر ذلك.



قطع الفريق جدولاً صغيراً اضطر فيه الجميع للحفاظ على توازنهم وهم يتنقلون على الحجارة الزلقة. كادت هيثر تقع أرضاً أكثر من مرّة لكنها كانت تسارع إلى الانتقال إلى مكان جاف يقيها من الانزلاق.

قال هنتر وهو يضع الحقيبة أرضاً: «سنخيّم الليلة هنا».

لم تدرك هيثر في البداية معنى الكلمات وكادت تحسُّ بالنشوة حين فعلت.

فكّت الحزام الذي يزعج وسطها ورمت الحقيبة على الأرض. كان الإحساس بالراحة عميقاً فأرادت أن تصرخ ابتهاجاً.

نظرت من حولها إلى المدى الواسع، إلى المرج الأخضر المزروع ببعض الأشجار فقط.

كان النهر ينساب فوق الصخور فتثير أنغامه الرغبة في أخذ قيولة.

أصدر هنتر أوامره فلم يعارضه أحد: «جون، بيل، لِمَ لا تشعلان النيران للعشاء بينما يجمع بيتر وهيثر الحطب؟ جيس، أحضر الماء وساعدني على نصب الخيم».

نظرت هيثر من حولها، سعيدة بعدم مشاركتها مع هنتر المهمة. أدار بيتر رأسه قائلاً: «هيا يا سيدتي الجميلة، سنجد الكثير من الحطب وسنترك الباقين يقومون بما طلب منهم».

استسلمت هيثر ولحقت بيتر الذي تصرّف معها بفظاظة وكأنها غبية. طلب منها أن تجمع ما تستطيع حمله من الحطب من دون أن تقلق لعدم قدرتها على جلب الكثير لأن أحداً لا يتوقع منها ذلك.

عندئذ، أقسمت هيثر على أن تتفوق على بيتر مهما كلفها الأمر، فهي لن تسمح له بخطف المشروع منها بكل بساطة.

جمعت ما استطاعت من حطب وقفلت عائدة إلى الفسحة الخضراء. كان صوت الآخرين المرتفع دليلاً جيداً أرشدها إلى طريق العودة. قامت هيثر بالرحلة ثلاث مرات فجمعت الحطب وكدّسته حيث أشار جون.

عمل بيتر جاهداً، واعترفت هيثر له بذلك إلا أن أحاديثه غير المنقطعة

سأله هنتر من حيث يعمل: «جيس هل تعمل أم تتحدث؟».
استطاعت أن ترى الوجه العابس من المكان الذي تقف فيه.
أجابته هيثر: «كان يعطيني بعض النصائح، ليس إلاّ».
وتوجّهت إلى جيس مضيفة: «شكراً لك جيس».
بعدئذ اقتربت من النيران المتأججة وهي تسأل: «ماذا عليّ أن أفعل الآن؟».

حاولت هيثر ألّا تنظر إلى عيني هنتر طوال السهرة. فأحضرت عدة طعامها، وإحدى علب المأكولات الجاهزة واتبعت التعليمات لتحضير العشاء. كانت المعكرونة والحساء للذيذين، فلم تترك منها شيئاً ومن ثم شربت الكثير من المياه الباردة.

أخذ الرجال يتبادلون الأحاديث الودية فيخبر كلٌ منهم عن التجارب التي عاشها في رحلات التخييم السابقة. أكثر القصص وأجملها هي تلك التي حدثت مع جون موردن، فراحت تضحك لبعض الروايات وهي تتناول العشاء.

حين حلّ الليل، كانت هيثر قد أنهت عشاءها فغسلت أدواتها وتحضرت للدخول إلى الخيمة والنوم حتى الصباح.

أرادت الاستفادة من جمال الطبيعة فكانت كلما ابتعدت عن المخيم تشرع في التقاط الصور.

كانت الأحاديث والنار بمثابة خارطة ترشدها إلى طريق العودة. نصب جيس خيمته على مسافة قصيرة من النار، فحزمت أمتعتها وتوجهت إليها. ناداها هنتر وهو ينهض من مكانه قرب النار ويدنو منها.

سألها هو ينظر إلى الحقيبة: «إلى أين تذهبين؟».
- إلى النوم. سنصحو مع الفجر، أليس كذلك؟.
أملت هيثر ألا تعكس نبرة صوتها التعب الذي تحس به. فهي ستقع أرضاً إن لم تتمدد حالاً.



قال هنتر مشيراً إلى الجهة الأخرى: «خيمتنا من هذا الاتجاه».
خيمتنا! كم كان وقع الكلمة جميلاً على مسمعها لكنها لم تتحرّك.
- أشكرك، لكن جيس دعاني للنوم في خيمته.
خطت خطوة واحدة واتجهت إلى الخيمة فأمسكها بذراعها وأدارها.
قال هنتر: «لن تمضي الليلة مع جيس تاونسند، أليس كذلك؟».
حرّرت ذراعها قائلة: «هذا ليس من شأنك».
سأل هنتر بتجهم: «هل أنتما على علاقة؟».
- لقد التقيته للتو تماماً كالآخرين لكنه يبدو الأقل خطراً بينكم.
- لا تدعي مظهره المزيف يخدعك، فجيس رجل مثلنا تماماً.
نظرت إليه هيثر بطرف عينها تسأله: «عم تتحدث بالضبط؟».
أجاب هنتر: «الرجل الوحيد المنيع أمام سحرك هو أنا. الأفضل أن تلازمي شخصاً تعرفينه».
- تتصرف وكأنني أمتهن إغواء الرجال. كل ما سأفعله هو التسلل إلى الكيس والنوم، ليس إلا.
- يقال إن المرء يحافظ على حرارة جسمه بارتداء أقل ملابس ممكنة، فهل تنوين التعري أمام جيس؟.
تجهّم وجه هيثر فقد تذكرت ما قاله الموظف عن خلع سروال الجينز للتمتع بنوم مريح. إلا أنها لم تعر الموضوع انتباهاً حينذاك لأنها كانت على يقين من أن الملابس ستقيها من البرد.
أجابت بنبرة حادّة. : «لا أنوي ذلك على الإطلاق»
- ستكون ليلة باردة وغير مريحة إن لم تفعلي.
- لا تقلق بشأني.
بدا هنتر وكأنه على وشك أن يضيف شيئاً آخر إلا أنه بدّل رأيه فلم يتفوه بكلمة واحدة.
- كما تريدين، عمت مساءً.
واستدار وتوجه نحو النيران.



www.elromancia.com

مشت هيثر إلى الخيمة مشية المنتصر في الجولة الأولى، إلا أن الشكوك بدأت تملأ رأسها. فهل يتوقع جيس أن تكون أكثر من مجرد شريكة؟ لكنه لم يغازلها حتى بل تجاهلها معظم الوقت تقريباً. إنه لم يبالِ بأحد في الواقع.

التفتت إلى النار فرأت هنتر يستعيد مكانه بالقرب من الألسنة المتأججة.

رمت هيثر حقيبتها في الخيمة وانسلّت في كيس النوم. وما لبثت أن غطت في نوم عميق.

استفاقت على زقزقة الطيور على الأغصان فارتسمت على شفتيها الابتسامة. نادراً ما كانت تسمع تغريد العصافير بسبب زحمة المدينة وقلة اشجارها. وبدا خرير مياه الجدول فوق الصخور أنعم من اليوم السابق. إنه موقع مثالي للتخييم، فتمنت لو تكون المواقع الأخرى بمثل هذه السكينة والصفاء.

تململت هيثر في فراشها الدافىء غير راغبة في النهوض فالطقس في الخارج بارد. أصغت هيثر جيداً، لكنها لم تسمع أي صوت في الخارج، فاستدارت لتقع عيناها على الرجل الذي ينام بقربها وقد بدت منه خصلة شعر فقط. تساءلت هيثر في سرها عما إذا كانت تستطيع أن ترتدي ملابسها وتخرج من دون أن توقظه.

مدّت يدها لتلتقط سروال الجينز وسحبته إلى داخل الكيس لترتديه. كان السروال بارداً جداً لكنه سرعان ما أصبح دافئاً بفعل حرارة الكيس.

أخذت هيثر تفتح سحاب الكيس. آملة ألا يوقظ صريره جيس، ثم التفتت إليه لتتأكد من أنه ما زال نائماً لكنها دهشت لرؤية عيني هنتر الزرقاوين تحدقان فيها.



## ٣ - وحيدة في الليل

سارعت هيثر تسأله: «ماذا تفعل هنا؟».

قال هنتر وهو يجلس: «صحوت قبل الوقت المحدد على ما يبدو».

أبعدت هيثر ناظريها عن كتفيه العاريتين اللتين لوّحتهما الشمس فأكسبتهما سمرة رائعة. هل أمضى ليلته من دون ملابس؟ أرادت أن تعرف رغم إدراكها بأن الحقيقة لن تفيد.

قالت وهي تدفع عنها الكيس وتنتعل حذاءها: «عليّ الذهاب لقضاء حاجة».

ودت لو تخرج من الخيمة في أسرع وقت ممكن، لكنها سألته: «ماذا حصل لجيس؟».

أجاب هنتر ببساطة وهو ينظر إليها: «لقد تبادلنا الخيم».

ارتعشت أصابع هيثر وهي تربط شريط الحذاء، فهي تشعر بقرب هنتر منها ونظراته التي لا تفارقها.

قال هنتر: «أشعلي النار ما إن تنتهي».

هزت هيثر رأسها آملة أن تتمكن من تنفيذ هذه المهمة البسيطة ثم انتهت من انتعال حذائها وسحبت منديلاً من حقيبتها. شعرت بأن الزمان توقف، وأنها في متاهة. أرادت الخروج والهروب. بحثت عن عيدان الثقاب ثم لبست معطفها وسارعت إلى ترك الخيمة، وهي تدرك أن نظرات هنتر لم تفارقها للحظة.

همست بحسرة وهي تتوجه نحو الغابة: «ليت الأمور كانت مختلفة!».

بعد بضع دقائق كانت هيثر تغسل يديها ووجهها بالماء البارد. وحين

جفت المياه شعرت وكأن وجهها صفحة من الجليد، فأخذت تدعو كي تشتعل النار بسرعة قبل أن تتجمّد.

وبعد ست محاولات نجحت أخيراً في إشعال النار، فأخذت تطعم ألسنة اللهب الأغصان التي جمعتها في اليوم السابق. شعرت هيثر بالفخر وهي تنظر إلى هنتر يخرج من الخيمة وينظر من حوله ثم يتوجه نحو النار.

بقيت هيثر في مكانها فهي لن تستمر بالهروب. عليها أن تظهر قدرة على التعامل مع هنتر. . إذا ما أرادت الحصول على المشروع.

- هل أحضر الماء لصنع القهوة؟

طرحت السؤال وكأنها تتحدث إلى جون أو جيس.

قال هنتر وهو يتناول وعاءً صغيراً ويتجه نحو الجدول: «سأحضره بنفسي».

جلس هنتر قبالة هيثر بعد عودته من الجدول ووضع الوعاء فوق النار.

- أتوقع أن يصحو الباقون قريباً. إن لم يفعلوا، فسأوقظهم بنفسي.

هزت هيثر رأسها، وساد بينهما صمت عميق.

لم تجد ما تقوله فرفعت نظرها إليه لتجد أنه يحدق فيها.

سأل هنتر: «كيف دخلت مجال الإعلان؟ كنت أعتقد أنك ستصبحين مدرّسة».

- لم أتمكن من إنهاء دراستي الجامعية، كما لم تشف أمي طوال تلك السنين. عمّي هو صاحب الوكالة حيث أعمل وقد منحني الفرصة وأبقاني لأني أثبت جدارتي.

أضافت هيثر جملتها الأخيرة لاقناع هنتر بأن الشركة تملك ما يكفي من المؤهلات والكفاءات لتنفيذ مشروع «ترايلزوست».

لم تكن إجابة هنتر سوى همسة خافتة.

بدا غاية في الوسامة هذا الصباح رغم أن ذقنه تحتاج إلى حلاقة. أما شعره الأشعث فأغراها وودت لو تسرّح الخصل المبعثرة. ابتلعت هيثر ريقها وأدارت وجهها محاولة كبت الشوق الذي يغمرها.



حدقت إلى الماء في الوعاء بحثاً عن كلمات تزيل التوتر بينهما فهي من سبّب الانفصال وأقل ما تدين به له هو الاعتذار.

- هنتر، أنا. . .

قال بيتر وهو يتجه نحوهما: «اعتقدت أني سأنهض قبلكم جميعاً، لم أدرك أنك ستغلبني يا هنتر».

وأضاف متجاهلاً هيثر تماماً: «أتحرق شوقاً لاستئناف الرحلة. أفضل ما يقدمه العمل لحسابكم هو جمعه بين العمل والمتعة».

التقت عيون هيثر وهنتر للحظة، فأدرك بأنها كانت تود أن تقول شيئاً ما قبل ظهور بيتر المزعج، إلا أنه تجاهل الأمر وأشاح بنظره عنها.

- سنكمل السّير صعوداً، لا شك أن الأمر ليس سهلاً لكن المناظر الخلابة تستحق العناء.

وصمت لحظة قبل أن يضيف: «كلما أسرعتم في إنهاء طعام الفطور، كلما انطلقنا باكراً».

جلست هيثر في الظل فيما اجتمع الآخرون لتناول الطعام. كانت تدرك تماماً أن عليها بذل مجهود أكبر لكنها لم ترَ فائدة من ذلك على ضوء ماضيها الأليم مع هنتر. بدا لها أن الرجال لا يجدون مشكلة في التحدث في ما بينهم فأحست بأنها العنصر الدخيل الوحيد.

وجدت متسعاً من الوقت لتدوين بعض الملاحظات قبل أن يحين الوقت لفك الخيم والانطلاق من جديد. أرادت أن تسجل كافة الانطباعات من دون أن تغفل أي معلومة تساعدها في ابتكار إعلان جديد، فحتى لو لم تحظ بمشروع «ترايلزوست» قد توظف ما تسجّله في الإعلان عن أي متجر آخر وفي أي وقت آخر. لقد ساهم وجود الجدول في جعلها تعشق المكان وتستمتع به كما أنها تعلّمت الطبخ في الهواء الطلق ما يصلح لإنتاج إعلان رائع.

كانت هيثر تدرك أن ما من جدوى من الاستمرار لكن الأمل بالحصول على المشروع رغم ضآلته موجود ولهذا ستبذل قصارى جهدها.



www.elromancia.com

توقفت عن تدوين الملاحظات للحظة بحثاً عن الكلمة المناسبة، فالتقت عيناها عيني هنتر وأحسّت أن نظراته تغلغلت لتلمس روحها وتشعل نار شوقها من جديد. للأسف لا تستطيع العودة بالزمن إلى الوراء، لن تتمكن مطلقاً من تغيير مجرى حياتها. لكن هل يستطيعان التوصل إلى نوع من الحيادية في علاقتهما؟ هل سيحاول حتى؟.

انضم جون إلى هنتر حالما استأنفت المجموعة السّير وبقيت هيثر تمشي خلفهما بانتظار دورها بعد أن كان هنتر قد استمع إلى كل من بيتر وبيل.

راحت هيثر تتساءل ما إذا كان دورها سيحين في فترة بعد الظهر.

هل عليها التحدث بشؤون العمل أم أنها ستجرؤ على شرح ما حصل منذ زمن بعيد؟ هل ستلقى منه تعاطفاً أم أنه لا يزال يجد صعوبة في تفهم الأمر؟ لم تكن هيثر واثقة من أنها ترغب في معرفة الجواب، لكنها كانت تجد نفسها مدينة له ولو باعتذار.

وكما توقّع هنتر غدت الطريق أكثر صعوبة بممراتها الجبلية الوعرة التي تضيق مع كل خطوة. كادت هيثر تقع مرتين لكنها في كل مرة كانت تتمسك بالصخور لتتفادى الانزلاق في المنحدر، على عكس هنتر وجون اللذين لم يواجها أي صعوبات تذكر. أملت هيثر أن تكون بمنأى عن مراقبة هنتر الذي يقيّم قدراتها لكن كل نظرة منه كانت تبعثر آمالها.

توقف هنتر عند مفترق منحدرين منتظراً انضمام الجميع إليه، ثم تفحّص الطريق بنظرة العارف وقرر أن تلك التي تبعد عشرين قدماً هي الأسهل.

قال هنتر: «في الحقيقة، إن آلان هو من وضع خطة سير الرحلة».

ثم أضاف: «أعتقد أن هذا هو الجزء الأصعب فما إن نتخطاه حتى يصبح الباقي سهلاً».

وأجال نظره في المجموعة مضيفاً: «هل من اقتراحات أخرى؟ إنني أصغي».

تساءلت هيثر ما إذا كانت هذه الخطوة اختباراً لقدرات كل منهم.



نظرت إلى الحائط الصخري الموحل أمامها لتجده مستقيماً للوهلة الأولى قبل أن تمعن النظر فيه، فتلاحظ بعض التموجات والنتوءات التي تجعل تسلّقه أمراً غير مستحيل.

قال جون بعد أن تفحّص السطح جيداً: «يبدو أن آثار الأقدام التي سلكت هذا الممر قليلة جداً».

- لعلها آثار حيوانات، فحيث يمشي غزال ما نستطيع أن نمشي.

أجاب بيتر بذلك قبل أن يتابع قائلاً: «هل تريدون أن أصعد أولاً؟».

هز هنتر رأسه وهو يقول: «لا، بل سأصعد أنا أولاً وحين أصل إلى القمة سأدلي الحبل وأسحب الحقائب فلا جدوى من حملها على ظهورنا أثناء التسلق».

وبعد بضع دقائق، كان هنتر على قمة المنحدر فبدا التسلق عمليّة سهلة. بعدئذ، دلّى الحبل وشرع يسحب الحقائب الواحدة تلو الأخرى وحين انتهى من جمع الأغراض بجانبه أشار إليهم للمباشرة في الصعود.

قال بيتر وهو يتبختر على خطى هنتر: «سأكون التالي».

كاد بيتر ينزلق مرتين لكنه كان يسارع إلى التمسك بإحدى النتوءات الصخرية ليتفادى السقوط.

وتبعه بيل فكاد ينزلق في الأماكن ذاتها التي انزلق فيها منافسه السابق. وما إن وصل إلى القمة حتى نادى باقي المجموعة قائلاً: «احذروا، فالصخور زلقة كالزيت في هذين الموضعين».

قال جون: «من سوء الحظ أنهم لا يستطيعون رمي الحبل لنصعد».

فتعرُّج الطريق كما سبق وأشار هنتر لا يسمح باستعمال الحبل.

قال لها جيس قبل أن يتجه إلى المنحدر: «سأراك على القمة».

كانت هيثر تزداد اضطراباً مع وصول أفراد المجموعة إلى القمة واحداً تلو الآخر. عليها أن تكون الشخص التالي لئلا تكون آخر من يصعد. بدت العملية مخيفة، فإذا واجه أصحاب الخبرة بعض المشاكل فكيف

سيكون وضعها هي؟.

تحظى جيس العقبة الأولى بسرعة إلا أن الحظ لم يسعفه في الثانية فاختل توازنه وبدأ يتدحرج حتى سقط بجانب هيثر وجون.

قالت هيثر وهي تهرع نحو جيس الذي تمكن من الجلوس وهو يمسك بقدمه اليسرى: «آه، يا إلهي».

قال جيس وأسنانه تصطك: «اللعنة، هذا مؤلم».

طمأنته هيثر التي وصلت إليه مع جون: «إبق هادئاً».

سألها جون: «هل كسر ساقه؟».

قال جيس أخيراً وهو يمسك بقدمه والألم باد على وجهه بوضوح: «ليس ساقي بل كاحلي، لا أدري ما إذا كنت قد كسرته أو لويته فحسب، كل ما أعرف هو أني أتألم بشدة»..

تحسّست هيثر موضع الألم بهدوء ثم قالت: «على أيّ حال، ستتورم سريعاً. أظن أن عليك خلع الحذاء بأسرع ما يمكن ووضع كمادة باردة عليها. لسوء الحظ أننا ابتعدنا كثيراً عن الجدول فمياهه باردة كالثلج».

وما هي لحظات حتى انضم هنتر إليهم فدهشت هيثر لرؤيته ذلك أنها لم تسمع وقع خطواته حتى.

سأل هنتر جيس: «كيف حالك؟».

- لا بأس، سأتحسن.

أخذت هيثر تتحسس موضع الورم بحذر شديد ثم قالت: «أنا لست طبيباً لكني أستطيع القيام ببعض الإسعافات الأوليّة ولا أظن أن لديك أية كسور. إنما عليك إجراء تصوير شعاعي للتأكد من ذلك. سأجلب أدوات الإسعاف الأولية من الحقيبة».

قال هنتر وهو يسلم هيثر علبة بلاستيكية صغيرة: «لا بأس، لقد جلبت أدواتي، فخذيها».

سارعت إلى لف قدم جيس على مرأى من هنتر وجون.

قالت بعد أن أنهت عملها: «نحتاج إلى شيء بارد لتخفيف الورم».



فأجاب هنتر: «سأرسل أحد الرجال إلى القمة للبحث عن جدول. لا شك أن المياه هناك باردة بما يكفي».

قال جيس وهو يتكىء إلى جذع شجرة، وقد بدا شاحباً: «شكراً لقد تصرفت بغباء واستهترت بعد أن تمكنت من اجتياز العقبة الأولى».

ثم نظر إلى هيثر وأضاف: «توخي الحذر وأنت تتسلقين ذلك المنحدر فهو يشبه المشي على الكرات».

هزّت هيثر رأسها متسائلة عمّا إذا كانت ستتسلق القمة أصلاً إذ اعتقدت أنهم لن يكملوا الرّحلة.

قال جيس لهنتر: «لا شك أنني لن أتمكن من متابعة الرحلة بعد ما حصل»..

- سنتصل بفرقة البحث والإنقاذ لنرى ما إذا كانت ستحضر لنقلك إلى المستشفى. سنرتب ما تبقى من أمور في وقت لاحق.

ثم التفت إلى جون قائلاً: «اذهب وأخبر الباقين بالخطة ودع بيتر وبيل يبحثان عن جدول قريب ويأتياننا ببعض المياه الباردة، أما في هذه الأثناء...».

وفتش هنتر في جيبه عن هاتفه الخلوي ثم أداره وشرع يفتش عن منطقة إرسال.

- ما من إرسال هنا، سوف استمر بالصعود حتى أحصل على إشارة، هيثر إبقي مع جيس وافعلي ما بوسعك لتخفيف ألمه.

* * *

كانت الساعة تقارب الرابعة حين وصل فريق الإنقاذ. أحضر بيتر وبيل وعاءً فيه بعض الماء إلى حيث تركا جيس وهيثر. كان الرجال يتحدثون في ما بينهم بانتظار وصول الفريق فيما هيثر تستمع إليهم من دون أن تفارق جيس للحظة.

ما إن وصل فريق الإنقاذ حتى نقل جيس إلى المروحية على عجل، وتبعه الآخرون حتى تأكدوا من أنه يلقى العناية اللازمة.

قبل أن تقلع المروحيّة التي ستقلّ جيس، أشار هذا الأخير إلى هيثر بالاقتراب. ولما دنت منه وانحنت فوقه، قال لها: «آسف لعدم مشاركتك الخيمة».

وصمت لحظة ومن ثم أضاف: «بما أن شركتنا لن تحصل على المشروع، آمل أن تربح شركتكم كي نتمكن من القيام ببعض الحملات الإعلانية معاً».

ابتسمت هيثر لجيس وربتت على كتفه قائلة: «إنني أتطلع إلى ذلك، اعتنِ بنفسك جيداً».

كان هنتر يراقب جيس وهو يهمس في أذن هيثر كلاماً جعلها تبتسم، فأبعد ناظريه غاضباً لسيطرتها على عقله بالكامل. فلو قدّر لجيس أن يتابع الرحلة مع الآخرين لأخبره هنتر بألا يعتمد كثيراً على هيثر التي سبق وأقسمت على قضاء العمر معه وتركته بعد ثلاثة أشهر.

لعلها لن تكرر التصرف نفسه مع غيره. كان هنتر واثقاً من أنها لم تتزوج من جديد فما من خاتم في إصبعها وما من دليل على أنها وضعته من قبل.

كان لا يزال يحتفظ بالخاتم الذي أهداها إياه، الخاتم الذي كرّس حبهما وأقسما على المحافظة عليه، الخاتم الذي رمته قبل أن ترحل وتتركه وحيداً.

كم كان غبياً! لمَ يحتفظ بالخاتم؟ سوف يتخلّص منه حالما يعود. لماذا أبقاه معه طوال تلكَ السنين؟ كان يعلم أنها لن تعود أبداً.

أدرك هنتر أن حادثة جيس قد تتكرر في أي وقت فحرص على أن يذكّر الجميع بالقواعد الأساسية قبل الصعود مجدداً. تبعت هيثر التعليمات حرفياً لكنها أحسّت بقلبها يتوقف حين انزلقت في المكان الذي سقط منه جيس غير أنها تابعت الصعود إلى القمة من دون أن تصاب بأي مكروه.

نصبت المجموعة الخيم في فسحة لا تبعد كثيراً عن الصخور فالوقت



تأخر ولم يعودوا قادرين على الوصول إلى الموقع المنشود.

حضّرت هيثر عشاءً خفيفاً وتسلّمت من هنتر الخيمة التي فرغت برحيل جيس.

قال لها هنتر: «ستنعمين الليلة بخيمة لك وحدك».

أجابت هيثر وهي تنظر إليه وقد علت شفتيها ابتسامة مشرقة: «أشكرك».

لم تشأ أن يدرك هنتر أنها لا تعرف أبداً كيف تنصب خيمة. إلا أن الشك كان يساوره، فتسمّر في مكانه شابكاً يديه على صدره وراح ينتظر: «هل سبق أن تعلّمت كيف ينصبون الخيم؟».

- في الواقع، كنت آمل أن أجد تعليمات لإرشاد المخيمين الجدد، فالتعليمات المكتوبة بشكل واضح تساهم في إغناء الإعلان المنشود.

ضاقت عينا هنتر وقال: «يا لها من إجابة ديبلوماسيّة».

وأدار ظهره ورحل، ثم عاد بعد دقائق حاملاً في يده ورقة عليها «التعليمات».

بذلت هيثر جهدها كي تظهر لهنتر أنها تستطيع تدبر أمرها، فاتبعت التعليمات حرفياً وارتفعت الخيمة في بضع دقائق. استدارت نحو هنتر وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة النصر، ثم قالت: «أهنئك فعلاً على موظفيك فهذه التعليمات غاية في السهولة والوضوح».

قال لها هنتر: «لقد تغيّرت كثيراً، هيثر».

تراجعت هيثر لتحتمي وراء خطوط الدفاع، فقد حان وقت الاعتذار.

- آسفة، لم أقصد الرحيل كما فعلت. كنت مذهولة تماماً، وما كان عليَّ التفوه بكل ما قلته. أؤكد لك أني شعرت بالندم لاحقاً.

- إنها مسألة عفا عنها الزمن، كيف أصبحت أمك؟.

- إنها مقعدة وفي كرسي نقّال، تحتاج إلى كثير من الإهتمام والرعاية لكنها تبلي حسناً نظراً لحالتها.



www.elromancia.com

انتظرت هيثر أن يسألها عن أحوالها، لكنه لم يفعل بل هز رأسه وعاد إلى حيث تشتعل النيران.

كانت فترة السّير قصيرة بسبب حادثة جيس، فلم تشعر هيثر بإرهاق الليلة السابقة ولكنها قررت أن تأوي باكراً إلى الفراش، فوضعت أغراضها ودخلت إلى الخيمة. ما من سبب واضح يجعل هنتر يشاركها خيمتها لكن هذا الأمر لم يعد مهماً وستبيت الليلة وحدها في الخيمة.

كتبت هيثر ملاحظاتها على ضوء مشعل صغير ومن ثم أطفأته وتسللت إلى الفراش.

وجدت صعوبة في النوم تلك الليلة إذ ظل طيف هنتر، الرجل القوي قائد المجموعة والشاب المندفع الذي يسعى إلى تحقيق أحلامه، يرافقها.

كان هنتر من عائلة متواضعة، وحين أُقفل المصنع حيث يعمل والده أبوابه وجدت العائلة صعوبة في العيش بشكل لائق. وزاد رحيل أمه بعد فترة، الطين بلّة. عندها أدرك هنتر مدى الإذلال اللاحق بأبيه من جراء خسارة عمله وقرّر أن لا يتكرر ذلك معه أبداً.

سعى هنتر جاهداً ودفعته عزيمته الى بذل مجهود جبار لدخول الجامعة، فنال العديد من المنح ولم يسع الى الحصول على قروض للطلاب لئلا يبدأ حياته مديوناً. وهكذا أمنّ لنفسه حياة راغدة بفعل جهده وعلاماته العالية.

إلاّ أنّ هنتر لم يستطع منع التاريخ من أن يعيد نفسه، فهو أيضاً تركته زوجته. لم يدخل هذا الأمر في حسابات هيثر من قبل، ولم يخطر في بالها أنّ الأحداث تكررت في حياته. لن تلومه مطلقاً إذا فقد ثقته بالنساء كلياً.

هل هو على علاقة بإحداهن؟ أعجبت به كثيراً اليوم إذ تولى قيادة المجموعة بشكل رائع وأطاعه الآخرون معترفين له بحسن الإدارة والتنظيم. لقد عالج مسألة جيس بهدوء وفعاليّة من دون أن يجعل الرجل يحس بأنه أبله أو يحمّله مسؤولية السقوط.



كان حين يتحدث إلى الآخرين يجبرهم على الإصغاء بنبرة صوته الصارمة والجذابة.

أغمضت هيثر عينيها وتوجّم وجهها. رفضت أن تنجرف وراء مخيلتها. لقد استطاعت العيش من دونه عشرة أعوام ولن توقظ أحلامها من جديد.

كانت تفتقده كثيراً بعد أن رجعت وحيدة إلى منزلها. ولو رأت حينذاك بصيص أمل لناضلت بكل قواها وفي وجه أي كان كي يستمر زواجهما.

إلاّ أنها لم تستطع إلزامه بحماة مقعدة وزوجة يتوزع ولاءها بين عائلتها المدمّرة وزوجها الطموح. لم يكن هناك أمل بشفاء أمها سريعاً فلم تشأ أن تقيّده.

وها هو الآن يحلّق عالياً على أجنحة النجاح. كانت «ترايلزوست» همّه الوحيد، وازدهارها وتوسّعها شغله الشاغل ومبعث رضاه وسعادته. كانت حياة مليئة وحافلة، حياة تمنت لو تكون جزءاً منها.

إلا أن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، فأمها بحاجة ماسّة إليها، على الرغم من مزاعم زوجة عمها أنّ اميليا تستغل إعاقتها لاستنزاف هيثر. غالباً ما تساءلت عما إذا كانت أمها تريدها أن تتزوج، وتبني أسرة مستقلة. فاميليا تريد كل شيء لنفسها، ما لا يدع لهيثر أي وقت أو حياة تذكر. لقد بدأت تقتنع أخيراً بكلام سوزان.

هل سبق أن وضعت نفسها مكان أمها وشعرت بالحاجة الدائمة إلى من يساعدها؟ لا شك أنها ستحتاج إلى المعونة في البداية، أما الآن فهل الوضع لا يزال على حاله؟.

تنهدت هيثر بحزن واستدارت تحاول أن تركز على فكرة النوم، بدلاً من أن تحلم بالحياة مع هنتر، سواء في الماضي أو في المستقبل. كانت أحاديث الرجال المتحلقين حول النار مسموعةً فضلاً عن قرقعة الأواني وأصداء الضحكات الخافتة. فسارعت هيثر إلى ارتداء ملابسها، ورغم

تشنج كتفيها وظهرها إلا أنها بقيت تتمسك بكلام جيس عن سهولة النهار الثاني.

هل كان يمكنهم السؤال عنه والاطمئنان إلى حاله أم أنهم في منطقة ينقطع فيها الإرسال؟

الأمر الوحيد الجيّد الذي سجله اليوم السابق هو عدم مشاركتها الخيمة ذاتها مع هنتر. أما اليوم، ومع رحيل جيس فقد جاء دورها في مناقشة الاستراتيجيات والخطط مع رئيس «ترايلزوست».

ستحرص على الحصول على ما يكفي من الوقت للتحدث إليه. قد لا تحصل على المشروع، لكنها لن تجعل عدم المحاولة سبباً في ذلك. أملت هيثر أن يكون هنتر عادلاً بما يكفي للاستماع إلى آرائها واقتراحاتها.

وما إن انطلقت المجموعة من جديد حتى سارع بيتر إلى مرافقة القائد، وكانت لتسمح لأي شخص بأن يأخذ دورها مع زوجها السابق إلا بيتر، المزعج.

قالت هيثر: «أعتقد أنه دوري في التحدث إلى هنتر».

كان الممر ضيقاً ولا يتسع لأكثر من شخص واحد. ومع هذا، قررت أن تتحدث إليه ما إن تسنح الفرصة. ستكون هي من يتحدث وليس بيتر المتفاخر.

قال بيتر: «ظننت أنك ستتحدثين إليه أثناء الاستراحة».

أجابت هيثر بنبرة حادّة، دون أن تنظر إلى هنتر الذي علمت أنه لن يساندها: «أحتاج للتحدث إليه لأكثر من عشر دقائق».

وعاهدت نفسها على ألاّ تدع الفرصة تفوتها لتدعم شركتها وتحاول الحصول على المشروع حتى ولو اشترط هنتر تغيير المدير التنفيذي المسؤول.

تراجع بيتر إلى الوراء وعلامات الهزيمة بادية على وجهه: «هيا سيدتي تقدّمي، فنحن لا نستطيع إغضابك».

ابتسمت هيثر قائلة: «طبعاً!».



رغبت في الواقع في أن تطيح برأسه لكنها اكتفت بكسب هذه الجولة.

غير أن سعادتها لم تدم بعد رؤية ملامح هنتر التي لم تجد لها تفسيراً. هل هو غاضب؟ أم أن اللعبة أمتعته؟ كانت هيثر تميل إلى الاحتمال الثاني. لكن هنتر استدار ومشى من دون أن يقول كلمة واحدة. أسرعت هيثر للحاق به لكنها لم تتمكن من التحدث لأنها راحت تراقب الممر الوعر.

وفجأة توقف عند منعطف فاصطدمت به هيثر. وأمسك ذراعيها بيدين قويتين لمنعها من السقوط.

نظرت إلى عينيه الزرقاوين القاتمتين والخطوط الرفيعة المحيطة بهما، فبدا لها وكأنه ضحك كثيراً في حياته. هل كانت أيامه سعيدة بعيداً عنها؟ كانت بشرته سمراء ناعمة وفكّاه حازمين. تعلم أنه عنيد، وقد اكتشفت فيه هذه الصفة أثناء فترة تعارفهما القصيرة، إلا أن فكيّه يؤكدان حزمه وصلابته.

لم تكن شفتاه مكتنزتين كثيراً بل جازمتين. وتساءلت هيثر عما إذا كانتا باردتين لبرودة الطقس أم دافئتين بفعل حرارة جسمه.

رطبت هيثر شفتيها فيما عيناها مسمرتان عليه. كانت شفتاها باردتين وتمنت لو يعانقها.

كانت تحس بقبضته على ذراعيها رغم السترة والمعطف وأن عينيه تحدقان فيها، فارتعبت للحظة خوفاً من أن يكون قد قرأ أفكارها، فهل فعل؟

سألته وهي تلتقط أنفاسها: «لم أنتَ على عجل؟».

سألت ثانية وهي تفكر بأنها لن تدع حلمها بمعانقته يسيطر عليها: «هل نعوض الوقت الذي أضعناه البارحة؟».

- بل لنسبق المجموعة ونتحدث بهدوء. هيا قولي ما عندك الآن، فلن يطول الوقت حتى يصل الآخرون.

عندئذ، حرّر ذراعيها من قبضته واستأنف السير بخطى متمهلة مضيفاً: «أظن أن عليك البدء بإعطائي أسباباً تجعلني أقتنع بأنّ شركتكم

مؤهلة لنيل المشروع. نحن بحاجة إلى شركة نعتمد عليها وتفي بالوعود التي تقطعها».

- جاكسون اند برينس شركة تلتزم بوعودها وتسلّم المشاريع في الوقت المحدد.

قالت هيثر ذلك وهي تدرك تماماً أن ملاحظته موجهة إليها وإلى ما فعلت في الماضي ثم أردفت: «إسمع هنتر أنا آسفة حقاً بشأن طلاقنا. ولو استطعت تغيير مجرى الأمور لفعلت. أعرف أني لم أتصرف بشكل لائق لكنني كنت مذهولة إذ أنّ الأمور من حولي انقلبت فجأة رأساً على عقب فأحسست بالذنب. هذا لا يبرر تصرفي لكنني آمل أن تقبل اعتذاري، وأرجو ألا يؤثر هذا في رأيك بالشركة التي أمثل. لدينا بعض الأفكار الرائعة وأعتقد أنه من مصلحتك الاستماع إلى ما لدي من عروض».

سأل هنتر: «وما رأي عائلتك بمجاملتك للحصول على المشروع؟».

أجابت: «هم لا يعرفون شيئاً عن زواجنا».

- ماذا؟ وكيف لا يعرفون؟

استدار هنتر لينظر إليها ثم يكرر سؤاله: «ماذا تقصدين بأنهم لا يعرفون؟ إنهم على علم بذلك طبعاً!».

- لم أخبر أحداً قطّ.

- ولا حتى أهلك؟.

فهزت هيثر رأسها نفياً.

- أخبرتني أن والدك غضب حين علم بزواجنا ولهذا رفض المجيء إلى الاحتفال.

قالت هيثر: «كان ليفعل لو أنني أخبرته».

- ماذا؟ كان ليغضب لو أخبرته؟.

- لقد حاولت إطلاعهما على الأمر خلال فرصة عيد الميلاد، فلم يصغيا إلي. أصرّا على أن أنسى كل هذه التفاهات وأركز على الدراسة قائلين إنهما قد ضحيا بالكثير لإرسالي إلى الجامعة لأدرس وليس لأهتم



بمثل هذه الأمور.

ومسحت دموعاً انهمرت رغماً عنها. كانت تود لو يشاركها أهلها فرحة العمر لكنها لم تجد من يصغي إليها. حددا لها مستقبلها سلفاً ولم يسمحا لها بإبداء رأيها.

وحين وقع ما لم يكن في الحسبان أي حين قُتِل والدها وأصيبت أمها بجروح بالغة بعد الحادث المروّع، تخلّت عن أحلامها وسارعت للوقوف إلى جانب عائلتها وتحمّل مسؤولياتها. لطالما تساءلت إن كان كل ما حدث جزاء لها على سوء تصرّفها.

- ولكن هل الحب والزواج حماقة؟ ألم يقعا في الحب ويتزوجا؟.

قالت هيثر تشرح موقفها: «لقد عانيا الكثير في الفترة الأولى من زواجهما، وكان التعليم مهماً بنظرهما. فأصرا على موقفهما بأن أنهي الدراسة قبل الارتباط بأي كان».

- غير أنك لم تصغي إليهما، أليس كذلك؟.

- لا أستطيع تغيير الماضي، كل ما أستطيع فعله هو الاعتذار.

- لقد تأخرت قليلاً.

وتابعا السّير بصمت لبضع دقائق. تذكرت الإحساس الجميل الذي يثيره فيها وجوده بالقرب منها، وتدافعت الذكريات الجميلة بقوة إلى رأسها. لقد دام افتراقهما عشر سنوات، بدت لها الآن وكأنها بضع ثوان. إن الرحلة في حدّ ذاتها معقدة بما يكفي من دون أن تضيف إليها صعوبة هذا الموقف.

وكان لا بد لها من أن تسأل: «هل من جدوى من متابعة الرحلة؟ هل لشركة «جاكسون أند برينس» أدنى فرصة للحصول على المشروع؟ أخبرني بما عليّ فعله وسأبذل قصارى جهدي. وإن لم يكن ما أفعله كافياً فلن يبقى أمامي أي حلٍّ آخر. أعرف أنك لا ترغب في وجودي هنا وأنا أيضاً لا أرغب بذلك، فلو علمت أنك ستكون في هذه الرحلة لما جئت. والآن لنته المسألة!».



www.elromancia.com

# ٤ - غرقت في بحر عينيه

توقّف هنتر فجأة، وقد فاجأه سؤال هيثر. إن كان عدم رغبته في التعامل معها واضحاً فلم تعرّض نفسها لمواقف هي بغنى عنها على مدى أسبوع كامل؟ كانت أشبه بزهرة نضرة لا تحتمل قسوة الحياة البرية لسبعة أيام متتالية، لكنها أدهشته لما أظهرته من قدرات حتى الساعة.

ومع هذا، لم يكن يرغب في رحيلها. فكيف له أن يفسر مثل هذا الإحساس؟

- هل تستسلمين عند أول عقبة؟.

طرح عليها السؤال من دون أن يقصد اتخاذ قراره بناء على تجربته السابقة مع هيثر، فهو لم يعتد المزج بين مشاعره والعمل. سوف يضع مشاعره جانباً ويستمع إلى ما لديها، وإن كانت أفكارها وطروحاتها جيدة فسيدرس إمكانية التعامل مع الشركة التي تمثل. ما فات قد مات. ولم يَعُد يشعر نحو هيثر بالغضب.

- بالطبع لا!

ورفعت رأسها بشموخ تتحداه. لا بد أنه تذكر كيف كانت تتصرف في الماضي حين تواجه مشكلة ما. إذ اعتادت أن ترفع كتفيها ورأسها وتتأهب للتصدّي. عجباً كيف أن بعض الأمور لا تتغيّر!.

ما هي الأمور الأخرى التي لم تتغير، يا ترى؟ هل ما زالت تحب شرب الشوكولا الساخن قبل النوم؟ هل لا تزال تنزعج لرؤية الإعلانات السخيفة على شاشة التلفاز؟ هل ما زالت طريقتها في غسل الملابس هي نفسها؛ الأبيض فالملون فالداكن؟



لقد تواعدا وخرجا معاً لأشهر عدة وتزوجا وعاشا معاً ثلاثة أشهر. كم من أمور أخرى كان ليعرفها لو دامت علاقتهما مدة أطول؟ بل كم من صعوبات كان ليواجه في محاولة نسيانها لو دامت علاقتهما فترة أطول؟.

وهذا لا يعني أنه نسيها. لقد حفظ الدرس جيداً، إذ رحلت أمه عند وقوع أول أزمة. وتركته هيثر عائدة إلى حضن عائلتها، فأقسم على أن يبقى عازباً ويبتعد عن الوعود والالتزامات السهلة الإخلال. لا بد أن فيه عيباً أو نقصاً ما، لذا فهو يفضل ألا يبني آماله على علاقة لئلا تسبب له جرحاً آخر.

غدت الطريق أكثر انحداراً. ومسار الرحلة بحسب ملاحظات آلان، يتجه إلى طريقة وعرة شديدة الانحدار لتنبسط بعدها الأرض وتستوي طوال ما تبقى من الرحلة. حتى أنه رأى على الخارطة، محطة لإطفاء الحرائق قريبة من الموقع الذي سيتوقفون فيه الليلة.

وتساءل هنتر ما إذا كان عليه المرور بالمحطة ودعوة المناوب لمشاركتهم الطعام.

نظر إلى ساعته ليرى ما إذا كان هناك ما يكفي من الوقت للوصول ومجموعته إلى المكان المنشود قبل حلول الظلام. لكنه لم يكن واثقاً من قدرة الآخرين على الإسراع، لا سيما هيثر. واستمرت هيثر في السّير لتعطي نفسها مصداقيّة، ولم تُسمِع هنتر أي اعتراض.

- هنتر!

والتفت إلى هيثر التي سألت: «لِمَ لا تجيب عن السؤال؟».

- ستدرس «ترايلزوست» عروضَ كافة الشركات المشاركة في الرحلة، لا سيما تلك التي تستمر حتى النهاية. إلا أن القرار يعتمد بصورة أساسية على الخطط والطروحات الإعلانية.

وتوقف ونظر إليها قائلاً: «لِمَ لا تخبرينني عن أفكار «جاكسون أند برينس»؟».



www.elromancia.com

تفاجأت هيثر كثيراً لدعوته، فاقتربت منه متمنية لو تجلس في مكان ما من دون أن تفعل شيئاً سوى التحدث عن الحملة الإعلانية. فالسَّير والتكلم معاً يقطعان أنفاسها، كما أن عليها النظر حيث ستضع قدميها. لكن هذه هي فرصتها وستعمل على الاستفادة منها قدر المستطاع. كان ينظر إليها، لكنها لم تجرؤ على رفع نظرها أعلى من حنجرته. لم تجرؤ على النظر إلى عينيه، فحين نظرت إليهما آخر مرة اجتاحتها الذكريات. إلا إنه تقدّم أكثر فأكثر. أحسّت بأنفاسه تتراقص على وجهها، ورأت طيف نبض أسفل حنجرته.

- هل رموشك طبيعيّة؟

لم تتوقع ملاحظته فرفعت نظرها إلى وجهه تلقائياً. نظرت إلى عينيه مباشرة، فأخذ قلبها ينبض بعنف بعد أن توقف عن الخفقان لبضع ثوانٍ. شعرت بنَفسها يضيق وبالغثيان ينتابها وأحست كأن العالم ينهار أمام ناظريها. لقد وقعت أسيرة عينيه ونظراته، وغرقت في دوامة جاذبيته السّاحرة. عليها إشاحة عينيها عنه، وإلا أغرقتها النظرات.

كاد الجهد الذي بذلته يكون مضنياً، إلا أنها تمكنت من كسر السحر وحوّلت نظرها إلى الممر، إلى الأفق البعيد.

- إنها طبيعيّة، طبعاً، وهل تظن أنني سأضع رموشاً اصطناعيّة في رحلة تخييم كهذه؟ أنا لم أجلب معي أدوات التبرج حتى.

- بعض النساء لا يخرجن إلى أي مكان من دون وضع قناع التبرج.

- لست إحداهن فما تراه هو وجهي الحقيقي، بدون أقنعة.

رفع هنتر وجهها إليه بيدٍ رقيقة، قائلاً: «اسمعي، إنها رحلة طويلة ولن يكون الأمر سهل لكلينا، أعلم أن هناك ماضٍ يجمعنا، إنما لندعه هذا الأسبوع جانباً. وسأعمل على ذلك إذا ما ساعدتني».

فهزت هيثر رأسها موافقة.

- بإمكاني إخبارك عن الخطط التسويقيّة بينما نسير.

كان عليها متابعة النشاط والقيام بأي شيء حتى لا تنظر إلى هنتر



وتحاول التركيز في الوقت عينه على الحملة الإعلانيّة.

استأنفا السَّير فيما هي تشرح له الخطط التي أعدّتها، مبتعدة قدر الإمكان عن الضمائر الشخصيّة باستبدال اسمها باسم الوكالة التي تمثّل. ذلك أنها كانت تثق، نظراً لماضيهما معاً، بأنه إذا علم أنها صاحبة تلك الأفكار والمقترحات كلها فسيعمل على إقصائها عن المنافسة.

كان يقول كلما صمتت: «خطة جيدة».

كلماته تلك غمرتها بالسعادة، فهي ترى أنّ الحملة ذكيّة وتعلم جيداً أنها ستفتح باب المبيعات على مصراعيه في تلك المنطقة من البلاد.

أملت فقط أن يكون صادقاً حينما ادّعى أن شركته ستتبنّى أفضل خطة إعلانيّة.

أخذت هيثر تسترخي، سعيدة بأنها قامت بواجبها على أكمل وجه، وشرعت تراقب هنتر وهو يسير.

لا شك أن الأجواء بينهما كانت مشحونة بما عاشاه في السنوات العشر الماضية. بدا لها أضخم ممَّا تتذكر، لكن جسده الأسمر المفتول العضلات لم يكن يشوبه شائبة.

وشعّث النسيم شعره الأسود فوّدت لو تغلغل أناملها فيه.

دفعها الخجل إلى تحويل نظراتها عنه، فهي لم تحضر لترسم في مخيلتها أحلاماً عن زوجها السابق، إنما لتسعى للحصول على المشروع. بدا لها حجم المسؤولية هائلاً كلما قارنت نفسها بمنافسيها في الرحلة. كانت على ثقة تامة بأن الوكالات الأخرى تملك خططاً مثيرة للإعلان عن «ترايلزوست» فهي مشهود لها بكفاءتها. كانت تعلم أن فرص حصول «جاكسون أند برينس» على المشروع ضئيلة جداً لكنها ستحارب حتى النهاية.

انبسطت الأرض أكثر فأكثر فلم تعد ترى إلاّ أشجاراً قليلة في المكان وتجلّى أمامها مشهد الجبال المغطاة بالأشجار والمنحدرات المخضوضرة، ما جعل هيثر تتوقف لتكحل عينيها بروعة المنظر.



www.elromancia.com

نادت وهي تسير: «هنتر».

عبس وهو يستدير لينظر إليها ثم سألها: «ما الأمر؟»

- هل لك أن تجلب لي الكاميرا من الحقيبة؟ لا أريد أن أضطر إلى نزعها عن ظهري ووضعها من جديد.

ردَّ بامتعاض: «لسنا هنا لتصوير المشاهد وأخذ اللقطات».

إلا أنه تقدم منها وقال وهو ينظر خلفها باستغراب: «ولكن أين الباقين؟».

- لقد سبقناهم، ألا تذكر؟ أنا واثقة من أنهم سينضمون إلينا في غضون دقائق معدودة، الكاميرا في الطبقة الخارجية.

واستدارت بينما فتح هوالحقيبة وسلّمها الكاميرا.

- لا تأخذي وقتاً كثيراً.

أومأت برأسها وهي تصب تركيزها كله على المشهد أمامها. هذه الصور لن تفي روعة جمال المرتفعات حقها، إلا أنها ستذكّرها بهذا النهار، وبالخشوع الذي انتابها لرؤية مثل هذه المشاهد التي لا تراها في المدينة حيث تقيم.

لم تمر دقائق معدودة حتى ظهر بيتر من خلف المنعطف وانضم إليهما.

فسارع هنتر يسأله: «أين الباقون؟».

- توقف بيل مرّات عدة، أحسَّ بألم في معدته فبقي جون معه فيما أتيت أنا.

رمق هنتر وهيثر بنظرة فضوليّة تعكس ما انتابه من فضول لجهة نتائج العرض الذي قدّمته هيثر، ثم سأل: «هل كل شيء على ما يرام؟».

فأجابه هنتر بهزةٍ من رأسه.

لكنه عاد يسأل: «هل حان الوقت لأخذ استراحة؟ ما زلت مستعداً للمشي مسافة أطول».

- لم أكن أنوي الاستراحة الآن، لكن هيثر رغبت بالتقاط بعض الصور. سنستغل الوقت ونتظر بيل وجون.



التقطت هيثر صورة أخرى قبل أن تنزع هي أيضاً حقيبتها، ما خلّصها من حمل ثقيل وأعطاها شعوراً عميقاً بالراحة. لم تكن تحتمل وضع الحقيبة على ظهرها، لكنها ودّت ألا يبدو هذا الأمر جلياً لمنافسيها.

وبالرغم من أنها تستمتع بالرحلة أكثر مما توقعت، إلا أنها ما كانت لتختار مطلقاً تمضية عطلة ما على هذا النحو. فهي تفضّل الاسترخاء على شرفة قبالة الشاطىء والحصول على كل ما تحتاجه عبر خدمة الغرف!.

سألت هيثر الرجلين: «هل أكل بيل طعاماً فاسداً؟».

فكل واحدٍ منهم يحمل معه طعامه الخاص، واحتمال فساد الطعام وارد جداً.

فردَّ بيتر: «لست أدري».

ثم انتقل للحديث مع هنتر فسأل: «هل سبق أن مارست رياضة الصيد؟ أنا ماهر باصطياد الغزلان».

ومن دون أن ينتظر أيّ تشجيع من هنتر، راح يصف بالتفصيل آخر رحلة صيدٍ قام بها.

ابتعدت هيثر قليلاً على أمل الهروب من صوت بيتر، فالصّيد لا يعني لها شيئاً. إنه بنظرها وسيلة لتأمين الطعام، وقد احتاجه في البداية الانسان القديم. كما أنها ليست من مؤيدي صيد الحيوان وقتله. وخطر لها أن بيتر قادر على قتل أي حيوان بمجرد إضجاره بأحاديثه التي لا تنتهي.

جلست هيثر على حافة إحدى الصخور تتأمل الرجلين، فلاحظت أن هنتر أطول من بيتر وقد بدا وكأنه جزء من قساوة الطبيعة. زاد بيتر من حركات يديه تفاعلاً مع القصة التي يرويها فيما راح هنتر ينظر من حوله بتبرم ويحدّق إليها.

لم تكن هيثر واثقة ما إذا كان ما تراه على وجه هنتر هو إمارات الضجر. هل هو بحاجةٍ إلى من ينقذه؟ وما إن لمعت الفكرة في رأسها حتى نهضت من مكانها وتوجهت نحوهما. لعل هذه هي الفرصة التي تحتاجها

لتحظى بفرصة الحصول على المشروع. إذا أنقذته من بيتر فسترفع رصيدها، لكن ربما ليس بما يكفي لتضمن فرصة النجاح.

وما إن انضمت إليهما حتى قالت: «بيتر، آسفة للمقاطعة لكنني لا أحب سماع قصص عن الحيوانات الميتة. لم لا تخبرني عن انطلاقتك أنت وشركائك؟ لقد سمعت الكثير عن شركتكم، لكني لست على اطلاع على النجاحات التي حققتها. كما أني على ثقة بأن الموضوع يثير اهتمام هنتر».

ما من وسيلة أفضل لإقناعه بالرضوخ لمطلبها سوى استخدام الكلمات السحرية أيّ أنّ الموضوع يثير اهتمام هنتر.

وما إن انتهت من الكلام حتى اكتشفت أنها فتحت الباب بيديها أمام الفيضان الكبير. فقد كان بيتر بعيداً كل البعد عن التواضع هو يتحدث عن انجازات الشركة بفضل خبرته.

فالشركة بدأت صغيرة لكن سرعان ما أصبحت الأكبر في سياتل، وافتتحت مكتباً لها في بورتلاند. ومنذ ذلك الحين وهي تثابر على اجتذاب أفضل الشركات وتنفيذ الحملات الإعلانية بسرعة قياسيّة.

كان هنتر يراقب هيثر غير مصدق أنها تهتم بألا تفوت كلمة من حديث بيتر. أيعقل أنها تستمتع بما يقول أم أنها مجرد ممثلة محترفة؟ شرع هنتر يتأمل هيثر متجاهلاً حديث الرجل المتعجرف. لو لم يكن يعرفها جيداً لظن أنها عمدت إلى إنقاذه من الاستماع إلى قصص الصيد المملّة.

رمقته بنظرة خاطفة وعادت تركز اهتمامها على بيتر. يمكن لهذا الرجل أن يتحدث طيلة النهار من دون توقف.

أطل جون وبيل فنظر هنتر إليهما وتوجّه إلى الرجل الذي يسير إلى الجهة اليمنى. بدا بيل شاحب الوجه يمشي بصعوبة.

سارع هنتر إلى إخبار الرجل: «إننا في استراحة، فاجلس قبل أن تسقط أرضاً».

ساعد جون بيل في نزع حقيبته عن ظهره قائلاً: «إن حالته سيئة، هنتر. أعتقد أنه يجب أن يرتاح ويشرب الكثير من السوائل، فلقد خسر



الكثير من الماء».

- ما الخطب؟.

ردّ بيل: «أشعر بألم شديد».

ثم اتكأ على الحقيبة ينظر إلى الآخرين بعينين شاحبتين.

وسأله هنتر: «هل أستدعي طائرة تقلّك من هنا؟».

- لا تزعج نفسك، أنا متأكد من أني سأشفى قريباً.

وعاد هنتر يسأله وهو يجلس بالقرب منه: «منذ متى وأنت على هذه الحال؟».

أجابه بيل وهو يعتصر معدته بين يديه ويئن متأوهاً: «لم أكن بمثل هذا السوء عند انطلاقنا وظننت أن الهواء النقي سيساعدني على تخطي الألم. لم تكن حالتي سيئة البارحة، أما اليوم فأنا مريض فعلاً».

سارعت هيثر إلى المجموعة تاركة بيتر وحيداً، وسألت: «ما الخطب؟»

أجاب جون: «إن بيل مريض. يشعر بألم في معدته».

قالت هيثر: «أحمل دواءً يعالج هذه الحالة».

ومن ثم سارعت إلى حقيبتها وعادت بعد بضع دقائق حاملة الدواء.

- يجدر بهذا الدواء أن يساعد على تخفيف الألم. لكن إذا استمر على هذا الحال فعليه أن يرى طبيباً.

وقف هنتر قائلاً: «سأستدعي بعض المساعدة الطبية».

قال بيل متأوهاً: «لا داعي لأن تهدر وقتنا فسأتخطى هذا».

- هيا يا رجل لسنا هنا في برنامج تلفزيوني حيث البقاء للأقوى، فكل ما نبتغيه من فكرة التسويق هو التأكد من استعمال الجميع لمنتجاتنا. لسنا في معرض اختبار قدرتكم على الصمود حتى الرمق الأخير، لنحدد الرابح.

عندئذ سارعت هيثر إلى القول: «أو الرابحة».

رمقها هنتر بنظرة ثاقبة إلا أنه تجاهل ملاحظتها.

- تحتاج للمساعدة، استرح وراقب حالتك. ثمة محطة على مقربة من

هنا، فهل تستطيع الوصول إليها؟ لا بد من وجود وسيلة ما لإخراجك من هنا.

أجاب بيل: «أجل سأتمكن من الوصول، فالألم ينتابني بين الحين والآخر، آسف لتعطيل مسار الرحلة».

طمأنته هيثر وهي تربّت على ذراعه: «سنرى كيف ستصبح حالك بعد تناول الدواء. لعل هذا كل ما تحتاجه».

وجلست بجانب الشاب الكئيب تتساءل ما إذا كانت الرحلة مشؤومة. لقد سبق أن فارقهم جيس وها هو بيل يشعر بالمرض. وهكذا، بدأت حلقة المتنافسين تضيق. ولكن إذا كان الأمر كما يقول هنتر، أي أن شروط اللعبة لا تضمن الفوز لمن يبقى حتى النهاية، فعليها أن توضّب أمتعتها وترحل مع بيل. لقد سبق وعرضت فكرتها، فماذا عساها تفعل بعد؟.

عليها أن تثبت لهنتر أنها جديرة بمنصب المديرة التنفيذية؟.

والتمعت الفكرة فجأة في رأسها. إنه لا يقدّرها كثيراً، ولكنها ستريه أنها تستحق التقدير. سوف تجعله يغيّر رأيه، ويرى أنها أصلب مما كان يعتقد. سوف تجعله يُعجب بها.

صعقتها الفكرة الأخيرة، ونظرت إليه وهو يتحدث إلى كل من جون وبيل متسائلة لما ما زال يعني لها الكثير. ليتها تستطيع أن تريه كم تغيّرت منذ زواجهما!

لقد خذلته في الماضي، لكنها لم تخذل يوماً أمها التي اعتمدت عليها لعشر سنوات. لا بد أن تُقدَّر لهذا.

كيف كان هنتر ليرى الأمور لو عَرِف حقيقة وضع هيثر؟ كانت تعمل بجد ثم تعود إلى المنزل لتعتني بوالدتها. كان الأمر صعباً جداً في البداية، لكنها اعتادت عليه فأصبح روتينياً مع الوقت.

لم تشأ تقييد حريته. كانت تعلم تماماً ما معنى حصوله على الشهادة الجامعية إذ اعتبرها الطريقة الوحيدة لحماية نفسه من أيّ قرارات مستبدة



يتخذها الآخرون وقد تؤثر في حياته.

خشيت أن تربط مصيره بزوجة غير قادرة على العمل لأنّ عليها أن تعتني بأمها، وبنفقات استشفاء لحماة مقعدة وهذا قد يضع نهاية لأحلامه. لم تكن لتسمح بحصول هذا.

مرت أشهر عدة من دون أن يحاول الاتصال بها، فعلمت أنها اتخذت القرار الصحيح.

اغرورقت عينا هيثر بالدموع. كانت تعلم انّ اقتناعها بأنها فعلت الصواب هو العزاء الوحيد في وحدة السنوات الطوال. تمنت لو يقتحم هنتر منزلها في سياتل ويصرُّ على استمرار زواجهما بالرغم من كل ما حصل.

لكن هنتر لم يأت، وتمّت معاملات الطلاق بهدوء عن طريق محامين لا مبالين. كانت هيثر واثقة من أنّ عائلتها لم تشك ولو للحظة بأنّ قلبها تحطّم لأكثر من مجرّد موت والدها. فهي كانت تندب أباها وزواجها المدمر في آن.

أعلن بيل بعد نصف ساعة أنه يشعر بتحسّن، وشكر هنتر على الاستراحة، وهيثر على الدواء. حمل الفريق حقائبه وانطلق من جديد. ولم تتعجب هيثر لانضمام بيتر إلى هنتر في الطليعة. ضحك جون بخبث، قائلاً: «إن لم يحصل على المشروع، فلن يكون ذلك بسبب عدم المحاولة».

فردّت هيثر: «أتتصور أنه يمكن التعامل معه على مدى سنوات؟».

ابتسم بيل بوهن قائلاً: «لا أظن. لكني لست واثقاً من أني سأترك انطباعاً حسناً».

فأجابت هيثر: «لن يحكم عليك هنتر بحسب قدرتك على مواجهة المرض».

- أنّى لك أن تعرفي؟

- لقد قال بنفسه إن الأمر لا يعني بقاء الرجل الأقوى حتى النهاية.

فأضاف جون: «أو المرأة».



www.elromancia.com

هزت رأسها: «تماماً. مع أني سأكون ممن يختارون الانسحاب حين نعود أدراجنا».

وأجابها جون: «لعلك تختارين هذا. لكنني لست واثقاً من أنك ستحصلين على المشروع».

- ولمَ لا؟.

هل لاحظ الآخرون مدى عداوة هنتر لها؟

- لا أظن أن هنتر من النوع الذي يخلط العمل بالمتعة.

- وماذا تقصد بهذا؟.

- ليتك ترين النظرات التي يرمقك بها أحياناً، لعلمت أنه ليس مهتماً بالحملة الإعلانية. أعتقد أن لديه مصلحة شخصيّة.

صرخت في وجهه مدهوشة: «هذا مستحيل!».

لو علم بقصتهما لأدرك أنّ نظرات هنتر تعني الازدراء وليس الإعجاب.

نقّل بيل نظره بين الإثنين قائلاً: «أتعتقد هذا؟».

فأومأ جون برأسه.

أما هيثر فهزت رأسها وتابعت السّير. احتارت في أمرها: أتخبر جون بحقيقة مشاعر هنتر؟ لكنها عادت وقررت أن أمورهما الشخصية ليست من شأن أحد.

أبقت هيثر كاميرتها في متناول يدها وتوقّفت مراراً لالتقاط بعض الصور. مرّ جون وبيل أمام العدسة فيما هي تحاول التقاط صورة لإحدى الزهور البريّة، وما هي إلا دقائق قليلة حتى أدركت هيثر أنها وحيدة.

كان الصمت المخيّم على المكان تجربة لم تختبرها قبلاً، فنظرت من حولها وقد سرّها أن تجد ممراً واضحاً تتبعه. كيف كان الناس يتدبرون أمرهم في غياب أي ممرات يتبعونها؟ لا عجب أن الكثيرين منهم ضاعوا في البراري.

لمحت هنتر يتقدّم منها وهو يصرخ: «هيثر!».



توقفت عن تأمل الطبيعة وبدأت تسير نحوه: «ما الأمر».

- ماذا تفعلين؟ عليك البقاء مع الفريق وإلا أرسلتك مع بيل، لن اسمح بأن يضيع أحد من الفريق.

- أعرف الطريق جيداً، وقد تأخرت بضع دقائق عن جون وبيل.

- بل تأخرت عشر دقائق عن باقي المجموعة.

- أحقاً؟

لقد مرَّ الوقت بأسرع مما كانت تتوقع.

مدَّ هنتر يده ليأخذ آلة التصوير قائلاً: «سأحمل هذه بنفسي، ليس لدينا وقت نضيّعه. الباقون بانتظارنا. حالة بيل سيئة، وعليَّ الوصول إلى المحطة لأرى كيف يمكنني تدبُّر نقله من هنا».

أحكمت هيثر قبضتها على الكاميرا وهي تقول: «سأتوقف عن أخذ الصور، لكنك لن تحصل على الكاميرا».

زمَّ هنتر شفتيه، وأخفض يده واستدار عائداً من حيث أتى، محذراً إياها: «حسناً، لكن من الآن فصاعداً ستخبرينني متى تريدين التوقف، فإما أن نتوقف جميعاً وإما لا».

ردّت هيثر وهي تؤدي له التحيّة: «حاضر، سيدي».

كان على هيثر الاعتراف وهي تسير متثاقلة صامتة، بحكمة هنتر. فالشخص الذي يبتعد عن المجموعة قد يصاب بأذى ما يسبب تأخيراً هم بغنى عنه. والرحلة أصلاً مشؤومة لا سيما بالنسبة إليها هي، وقد تجسَّد ذلك أولاً بظهور هنتر وقيادته للمجموعة، ومن ثم إصابة جيس ومرض بيل.

هل يعقل أن يفكر هنتر بالاستسلام والاكتفاء بما عرفه عن مختلف الوكالات، أم أنه سيمضي قدماً؟.

وسرعان ما تذكرت هيثر عناد وتصميم زوجها السابق فأدركت أنه لن يستسلم.

ما إن وصلا إلى حيث تنتظر المجموعة حتى أنزلت هيثر الحقيبة عن

ظهرها، ووضعت الكاميرا في الجيب الخارجي ثم توجّهت لتجلس بالقرب من بيل.

سألته: «هل تشعر بأي تحسُّن؟».

فأجابها ببسالة: «أنا متروك للقدر».

لم تقتنع هيثر بكلامه، فلونه يميل إلى الخضرة كما كان غارقاً في صمت مطبق لا ينطق بكلمة إلا إذا تحدث إليه أحد.

وقفت هيثر وأومأت إلى هنتر مبتعدة بضع خطوات إلى الأمام حيث انضم إليها.

قالت له بهدوء: «حالة بيل سيئة جداً».

- يمكنني رؤية ذلك. أفكر في أن أتركه في المحطة إذا ما استطاع الوصول إلى هناك. فعلى الطريق العام وبوجود المواصلات، سيتمكن من الرحيل والذهاب إلى الطبيب.

- وهل سنكمل الرِّحلة؟

- يمكنك الرحيل مع بيل إذا ما أردت ذلك.

وضعت هيثر يديها على وركيها وهي تحدق إليه متسائلة: «كنت أفكر في السبب الذي يجعل هؤلاء الأشخاص يسقطون واحداً تلو الآخر. أولاً جيس والآن بيل، لا بل إن المصائب بدأت مع حادثة المدير التسويقي. لعل الرحلة مشؤومة».

- أو لعلّها تصبح أقسى مما كنت تظنين بأظافرك الاصطناعيَّة ونمط عيشك المديني المرفَّه. لقد سبق وأخبرت المجموعة أن الحكم النهائي لا يتعلق بالصمود حتى النهاية. إن أردت الرَّحيل، فلك ذلك. لقد عرضت خطة «جاكسون أند برينس» وسأبقيها في ذاكرتي».

فأجابت ساخرة: «وكأنني سأحصل على محاكمة عادلة».

ضاقت عيناه: «أتلمحين إلى أني لم أكن عادلاً مع شركتك؟».

- تباً. تكلم يا هنتر، هل من فرصة لأن تختار الشركة التي أمثل؟.

تريث ولم يجبها فوراً، فتوقف قلبها عن الخفقان. لم تعد هيثر تأبه



للماضي بل أملت أن يعطي الشركة التي تمثل فرصة.

فسارعت تقول: «يمكنك طلب تغيير المدير التنفيذي».

- ما زال الوقت مبكراً. لنرى ما ستعرضه الفرق المتنافسة.

تنهدت وهي على يقين من أنّ أفضل ما تفعله هو الحدّ من الخسائر والعودة مع بيل، إلا أن هنتر لم يكن العنيد الوحيد في المجموعة.

استدارت ومشت عائدة باتجاه حقيبتها وجلست. ثمة سبب آخر لتبقى، فهي تستمتع بوقتها.

فهيثر لم تشارك يوماً في رحلة إلى خارج سياتل لأنها اعتادت أن تستغل أي فرصةٍ تحصل عليها لتنظيف الشقة، وغسل الثياب المكدَّسة، وأخذ أمها في نزهات في المدينة. وقد أحبت السكينة التي تحلّ عليها حين تكون وحيدة ومحاطة بروعة الغابة. كم كان جميلاً أن تختلي بنفسها مع أحلام التغيير. لو تسنى لها أن تعود إلى بداية الرحلة لاختارت البقاء في ذلك المرج الأخضر بالقرب من الجدول وتمضية الأيام الأربعة المتبقيَّة.

وتبدد توترها للمرَّة الأولى منذ عشر سنوات. كانت هنا على طبيعتها، كما لا تستطيع أن تكون في أي مكان آخر.

قد تنضم إلى نادٍ مخصص للنزهات في الطبيعة حين تعود إلى الديار، وتذهب في بضع رحلات خلال السنة. كانت تعلم أن أمها ستشكّل عائقاً ولن تتقبل الفكرة بسهولة، لكنها ستفكر في الحل المناسب.

وعادت تنظر إلى هنتر، لتراه مجدداً تحت رحمة حديث بيتر الذي لا ينتهي. أتراه يذهب غالباً إلى التخييم؟ وللحظة سمحت لنفسها بأن تحلم بهما معاً في رحلة تخييم، يسيران بصمت لبعض الوقت، ويتشاركان متعة تأمل الأفق البعيد. أما في المساء، فقد يطهوان الطعام، ويستعيدان مسرّات النهار، ليعودا بعدئذ إلى الخيمة وينسيان العالم كلّه. وتذكرت لياليهما معاً.

وفجأة، نظر هنتر إلى عيني هيثر مباشرة، فرمشت بعينيها وأشاحت نظرها. لا يمكن له أن يقرأ أفكارها، أليس كذلك؟

## ٥ - زهرة تحت المطر

وصل الفريق إلى المحطة في وقت مبكر من بعد الظهر، حيث وافق المناوب على نقل بيل فقام الآخرون بتوديعه.

وحين اجتمع من تبقى من الفريق حول هنتر، قال لهم: «أود أن نكمل السَّير وفقاً للخطة المرسومة لليلة، حتى لو تأخرنا قليلاً. قد يعني هذا أن نسرع الخطى وأن نقلل فترات الاستراحة لنعوّض الوقت الضائع. الموقع الذي نقصده بجانب الجدول وهو مشهور. قد نصادف هناك بعض المخيمين فلا نبقى وحدنا.

فردّ بيتر: «لنسرع إذاً».

وسأله جون: «أي وقت تقصد بمتأخر؟».

- أعني قبل حلول الظلام.

فهز جون رأسه.

تناولت هيثر بعض الطعام وشربت الماء، استعداداً للرحلة الطويلة التي تنتظرها، فهي لا تودُّ أن تكون سبباً في التأخير.

نظر إليها هنتر سائلاً: «هل أنت مستعدَّة؟ ما زال بإمكانك الذهاب مع بيل».

قالت وهي تبادله النظر: «بل سأبقى حتى النهاية وأعود بسيارتي وقد ربحت المشروع».

ظنت هيثر للحظة أن عينيه تلمعان... إما استمتاعاً وإما دهشة؟ فيما أطلق بيتر ضحكة وقال مازحاً: «أعتقد أنها ستصمد».

هز هنتر كتفيه قائلاً: «أقترح أن نرسل إحدى الخيم مع بيل، فلا يبقى



معنا سوى اثنتين نحملهما مداورة».

كانت في عينيه نظرة تحد. فرفعت هيثر ذقنها وقالت: «لا مانع لدي».

ولم يطل بهم الوقت حتى انطلقوا من جديد. حمل كلٌّ من جون وهنتر الخيمتين. وحاول بيتر نيل مكان بالقرب من هنتر بكافة الوسائل، لكنه سرعان ما أعيد إلى الخلف ليتمكن جون من التحدث إلى القائد.

فوجه سؤاله إلى هيثر: «هل تظنين أن لديك فرصة للفوز؟».

- طبعاً وبقدرك أنت تماماً.

فهي لم تكن تستلطف بيتر لكنها حاولت أن تخفي مشاعرها لتحافظ على التناغم قدر المستطاع.

- سنرى. أنا واثق أنه أعجب بالعرض الذي ناقشناه سوياً. ونحن نفهم بعضنا البعض. ما من شيء شخصي يجمعنا، أما أنت وهو فلا تتشابهان البتة.

ليته يعلم!

ردَّت هيثر، وهي تأمل ألا يرغب في التحدث طيلة فترة بعد الظهر: «سوف نرى، أليس كذلك؟».

ولاذت بالصمت إذ ودّت بأن تستمتع بالنزهة قدر الإمكان.

إنّ جيس مخطىء فهذا اليوم هو الأسوأ، هذا ما خطر لهيثر بعد مرور بضع ساعات. كانت متعبة إلى حد رغبت معه بالنوم أثناء المشي. فقدماها تؤلمانها. كما شعرت بالسكاكين تمزق كتفيها. كانت عطشة وجائعة. كيف ظنت أن السَّير في الطبيعة عطلة ممتعة؟ لا بل إنها محبطة.

ثابر هنتر على السير وتبعه جون. بدا كلاهما مرتاحاً كما لو أنهما بدآ للتو المسير، وأصابها اليأس.

كان بيتر يتمايل قليلاً، واستشفت التعب من صمته. لم يخطر لها قط أن شيئاً ما قد يسكته. لم يكن يتعثر كلما خطا بضع خطوات مثلها، إلا أنه بدا متعباً.

أرادت هيثر أن تسأل عن المسافة التي سيقطعونها، لكنها رفضت أن تبدو الحلقة الأضعف في الفريق، وستمضي في المعركة حتى النهاية. مالت الشمس نحو المغيب. إن لم يصلوا إلى موقع التخييم قريباً فسوف يباغتهم الظلام.

وتناهت إلى مسمعها أصوات، فهل اقتربوا من الموقع؟

رأت جدولاً صغيراً إلى الجهة الثانية من المنعطف؛ وعلى بعد بضع خطوات كانت النيران تتأجج قرب الضفة وتنتصب خيم ثلاث من حولها في الفسحة. لم يكن المشهد بروعة المرج، إلا أنه بدا الجنة بذاتها في عيني هيثر.

تحدث هنتر إلى المخيمين الآخرين، ثم اختار بقعة لا تبعد كثيراً عن مجرى الجدول. أرسل بيتر يجمع الحطب وهيثر لتحضر الماء. حدّقت إليه وقد أخذ منها التعب كل مأخذ متسائلة عما إذا كانت قادرة على الحراك.

سألها جون برقة: «أأساعدك في نزع الحقيبة؟».

فاستدارت نحوه وأومأت إليه برأسها قائلة: «أنا جدُّ متعبة».

- وأنا أيضاً.

وساعدها في فك الحزام ونزع الحقيبة الثقيلة عن كتفيها ثم أضاف: «ما إن نأكل حتى آوي إلى الفراش، يمكن لبيتر وهنتر أن يذهبا لزيارة الآخرين، أما أنا فمستحيل».

أجابته بابتسامة: «قد لا يكون هذا حالك فعلاً، إنما مجرّد قولك هذا يخفف عني».

وسألها هنتر: «هيثر، هل ستحضرين الماء أم أنك ستمضين الليل تغازلينه؟».

استدارت وسحبت الوعاء من يده الممدودة من دون أن تتفوه بكلمة ومشت نحو الجدول. كيف يجرؤ على أن يفكر أنها كانت تغازل؟ كل ما فعلته هو التصرف بود مع زميل لها.

ركعت بالقرب من الضفة، وملأت الوعاء من النهر. كانت تعي تماماً



أن عليها ألاّ تشرب المياه قبل أن تغلى أولاً، فاكتفت بإحساس البرودة المنعش للمياه على أصابعها، وتخيّل طعمها في فمها.

نهضت هيثر بحذر عائدة إلى حيث أوقد هنتر النيران. قدّمت له الوعاء وهي تقاوم رغبتها في إفراغه على رأسه.

لكنها قالت في النهاية: «اعلم أني لم أكن أغازل جون، فهو قد ساعدني على نزع حقيبتي وحسب».

قال هنتر وهو يأخذ الوعاء منها: «عليك أن تنضمي إلى المجموعة وتشاركي في النشاطات».

انضم إليهما جون حاملاً رزمة من الحطب وقال: «هيا يا رجل، وفّر تعليقاتك. فحقيبتها ثقيلة كحقيبتي وهيثر تزن نصف ما أزن. النزهة اليوم أنهكتنا. ولو توفر لي من يساعدني لكنت ممتناً».

نظر هنتر إلى هيثر، فوجدها خائرة القوى، ما أثار غصّة في نفسه. هل تعمّد استنزاف طاقتها أكثر من غيرها؟ كانت أصغر المشاركين، ومع هذا لم تتوان للحظة عن تأدية واجباتها. هل كان يبحث عن عيب ما، عن سبب يجعله يرفض عرض «جاكسون أند برينس» فلا يضطر إلى رؤيتها من جديد أو التعامل مع الشركة لسنوات طوال؟ إلا أنها سبق وطرحت فكرة استبدالها بمدير تنفيذي آخر.

أما هو فلم يرغب في التعامل مع مدير آخر. أراد أن يتعرف أكثر إلى هيثر، وإلى كيفية عملها، ونوعيّة أفكارها، أراد أن يعرف المسار الذي اتخذته حياتها.

قالت له هيثر متجاهلة هنتر: «لا عليك جون، أتوقع أن نصحو غداً بحال أفضل، بعد أن ننام جيداً».

أثر كلامها في قلبه، فردّ وهو يفكر كيف يلفت انتباهها: «علينا تناول العشاء أولاً».

هزت برأسها وتوجهت إلى حقيبتها لتجلب العشاء وأدوات الطعام فيما انضم إليهم بيتر حاملاً رزمة أخرى من الحطب وجلس بالقرب من

النار.

- كانت رحلة اليوم قاتلة. من حسن حظي أنني انتعلت حذاءً من منتجات «ترايلزوست» لأصمد حتى الآن فلو انتعلت حذاء آخر لوجدتني الآن أبكي على جانب الطريق.

تحلقوا حول النار لبرهة يحضرون طعامهم ثم جلسوا ليأكلوا.

بدت هيثر غارقة في التفكير. فودّ هنتر لو يسألها عما يدور في خلدها، إذ لم تشارك في الأحاديث الدائرة بين أعضاء الفريق. هل هي هادئة هكذا دوماً؟ لم يعرف فيها هذا الطبع من قبل. كانت الأحاديث التي يرغبان في تبادلها لا تنتهي. ومع كل يوم يمضي، كان يتطلع إلى فرصة يرتاح فيها من الدرس للتحدث والتعانق.

لكنه ما لبث أن حذر نفسه، من أن يترك مخيلته تجرفه بعيداً.

قالت هيثر وهي تمسح قعر طبقها: «فليعطني أحدكم خيمة لأنصبها، سأكون جاهزة للنوم في أقل من عشر دقائق».

فأجاب بيتر: «لم يحل الظلام بعد، ظننت أننا سنختلط بالآخرين فلا تفسدي علينا الحفلة».

كان المخيمون الآخرون ودودين فدَعَوا مجموعة هنتر لتمضية السهرة معهم بعد تناول العشاء.

أجابته هيثر غير متأثرة باقتراحه: «إذهب أنت، أما أنا فأفضل النوم».

عندئذ، قال هنتر: «سأقوم بنصب الخيمة بينما تغسلين أواني الطعام».

وتساءلت في سرّها عما إذا كان سيشاركها الخيمة. هل هذا ما أراده من عدم جلب الخيمة وتركها مع بيل؟ فالخيم لم تكن بثقيلة، ويمكن للرجال حملها بسهولة. إنما بهذه الطريقة سوف تجبر هيثر على أن تشارك أحدهم خيمة.

ودّ لو يعرف بعض جوانب حياتها منذ تركته. ولا يعود السبب في



ذلك إلى أنه ما زال يهتم، بل لأنها كانت تخطر على باله من حين إلى آخر في السنوات الماضية وقد يسهم هذا في وضع حدٍّ لتخيلاته وفضوله.

شرع هنتر ينصب الخيمة فيما فكّت هيثر سحّابة حقيبتها وسارعت إلى سحب كيس النوم والغطاء.

قالت وهي تمر بمحاذاته مسرعة: «ليس لديّ شيء ضد أحذيتكم الرياضية، لكنني أتوق لخلع حذائي».

فتح لها غطاء الخيمة وراقبها وهي تنسل إلى الداخل. كان الضوء خفيفاً مع انتهاء النهار، ووهج ألسنة النار يبدو ناعماً وغامضاً.

قالت له هيثر وهي تمدُّ يدها لتسدل غطاء الخيمة: «عمت مساءً، هنتر».

فتراجع على أعقابه، رغم أنه كان يرغب في إحضار أغراضه والانضمام إليها.

قال بيتر: «هيا يا رجل، ألن نزور جيراننا؟».

فأجاب أحد أعضاء الفريق الآخر: «تفضلوا!».

لديه ما يكفي من الوقت ليعرف المزيد عن زوجته السابقة. كان الوقت لا يزال مبكراً للخلود إلى النوم كما أنّ عليه مسؤوليات جمّة تجاه بقية أعضاء الفريق.

لم تفكر هيثر في تدوين ملاحظات في دفتر مذكراتها حين انسلّت داخل كيس النوم. ستحاول كتابة بعضها في الصباح، أما الليلة فهي متعبة جداً لتقوم بذلك.

منحها التمدد شعوراً كبيراً بالراحة، فأغمضت عينيها محاولة أن تتذكر ما خطر لها من أفكار في فترة بعد الظهر، عن الطرق المختلفة في استعمال معدّات التخييم التي تحملها. كما أرادت التركيز على تعاون الموظفين مع المبتدئين. أيعقل أن يكون كلٌّ منهم خبيراً في حقل اختصاص معيَّن؟ عليها أن تسأل هنتر عن هذا الموضوع.

كيف خطر له أنها كانت تغازل جون هذا المساء؟ لقد بذلت قصارى

جهدها لتبقى بعيدة عن الآخرين. كانت الوحدة بالنسبة إليها بمثابة رفاهيّة، ولم تشأ أن تعلق في شرك المنافسة. إنه لا يعرفها جيداً.

وعلى من يقع الخطأ؟ طرحت على نفسها هذا السؤال قبل أن تستسلم للنوم أخيراً.

استيقظت هيثر أثناء الليل، فشعرت بالهواء المنعش وسمعت صوت المطر يتساقط أنغاماً على الخيمة. استدارت إلى الجانب الآخر. كان هنتر ممدداً إلى جانبها، وقد بدا ككتلة مظلمة تحجب الضوء الخافت للنار التي لا تزال مشتعلة بالقرب منهما. همس لها: «عودي إلى النوم».

- إنها تمطر.

- سوف تنطفىء النيران قريباً، آمل أن يتوقف المطر قبل الصباح.

- ظننت أننا سننعم بطقس جميل.

- ثمة احتمال أن تتساقط زخات المطر.

كان صوته ناعماً ومألوفاً في الليل، فسألته: «هل سنكمل الرحلة إذا ما استمر تساقط المطر؟».

- سنرى ما سيحصل. إذا ما سقط بعض المطر، فما من داع لأن نتوقف. أما إذا كان المطر غزيراً فسوف نضطر للانتظار. هل جلبت المعطف الواقي من المطر؟

أومأت برأسها لكنها أدركت أنه لا يستطيع أن يراها في الظلمة، فقالت: «أجل، لكنه في أسفل حقيبتي. لم أتوقع استعماله».

- ستحظين بكل الوقت اللازم لتتشليه إذا ما احتجته.

راقها الدفء والجفاف والاستماع إلى صوت المطر، فضلاً عن قرب هنتر.

- عودي إلى النوم.

لكنها سألته: «كم الساعة الآن؟».

- حوالى الرابعة.

لقد أوت إلى الفراش قبل الساعة الثامنة، فلا عجب إن صحت على



صوت المطر، إذ نامت بما يكفي. عادت واستلقت على الجانب الآخر لتستمتع بالأصوات في الخارج، من قطرات المطر المتساقطة عن الأشجار، إلى ترانيم النسيم المنعش. هذا الجو هدأ أعصابها فاستسلمت للنوم.

استمر تساقط المطر حتى الصباح، وكان هنتر قد استيقظ وخرج من الخيمة حين صحت هيثر مجدداً، فلبست ثيابها بسرعة، فضلاً عن سترة بكمين طويلين نظراً للبرودة، ورطوبة الطقس في الخارج. وجدت المعطف الواقي من المطر فسحبته من الحقيبة، ثم وضبت أغراضها، وفتحت باب الخيمة لتخرج.

كان هنتر جالساً بالقرب من النار المتأججة وإلى جانبه جون يرتشف قهوته الصباحيّة، لكنها لم ترَ أي أثر لبيتر. تناولت هيثر أدوات الطهو ومشت نحو النار.

سألها هنتر وهو يرفع الوعاء عن النار: «أتريدين بعض القهوة؟».

مدّت له الفنجان الذي تحمله وسرعان ما كانت تحتسي أول جرعة من الشراب المعطّر.

كان المعطف يغطيها من رأسها حتى ركبتيها. أما يداها فتبللتا على عكس باقي جسدها الذي بقي دافئاً وجافاً.

قالت وهي تراقب جيرانهم يستعدّون للرحيل: «أخال أن الطقس لا يزال يصلح لمتابعة الرحلة».

فأجاب هنتر: «إنهم يقصدون المكان الذي نتوجه إليه وقد أرادوا الانطلاق باكراً، أما نحن فلسنا على عجلة من أمرنا. الموقع التالي لا يبعد سوى نهار واحد سيراً على الأقدام. وحين يظهر بيتر سنأكل وننطلق، وما إن نصل إلى هناك حتى أغرق في الخيمة بدلاً من أن أتخبط في الوحل».

سألته هيثر، والجرأة تغمرها: «أيخشى المخيم المغامر مثل هذا الطقس؟».

- ماذا عنك أيتها الزهرة الرقيقة؟ أتتحرقين شوقاً لقضاء النهار تحت

المطر؟.

فأجابته بحدَّة: «أفكر فقط كيف سيرطب بشرتي».

وتدخل جون قائلاً: «ثمة شيء ما بينكما أنتما الاثنين».

فنظر كلٌّ من هنتر وهيثر إليه، فيما أردف: «لم أكن واثقاً من قبل، أما الآن فبلى».

تأملت هيثر فنجانها غير واثقة مما تقول. أما هنتر فأجابه بإيجاز: «لقد تزوجنا حين كنا طالبين في الجامعة، إلا أننا انفصلنا بعد بضعة أشهر. ولم أرها منذ عشرة أعوام».

وعاد جون يسأل: «وهل بقيتما على اتصال؟».

هزت هيثر رأسها قائلة: «تفاجأت لرؤيته في هذه الرحلة».

- ألم تكوني على علم بأنه رئيس شركة «ترايلزوست»؟

- علمت بهذا مؤخراً، ولم أتوقع إطلاقاً مجيئه إلى الرحلة.

فقال هنتر، وهو يركز اهتمامه عليها من جديد: «ظننت أنك لم تقتفي أثري».

التقت نظراتهما فأشاحت بنظرها سريعاً: «لم أعلم بالأمر إلا عندما اشتريت بعض أغراضي من متجر «ترايلزوست» الجديد في سياتل. فصورتك خلف إحدى طاولات المحاسبة تشير إلى أنك أحد المؤسسين».

سأل جون: «إذاً، لم تتوقعي حدوث مثل هذا الأمر؟ لا بد أنه القدر».

ضحكت هيثر لكلامه وردت: «لا أعتقد ذلك، إلا إذا كان قدراً سيئاً».

ومن ثم هزت كتفيها، متفادية نظرات هنتر وأكملت: «الصدف تحدث، ولعلَّ هذه الصدفة تفوق سواها غرابة».

فأجاب هنتر: «ربما».

ظهر بيتر من داخل الخيمة، مقطّب الوجه نظراً لحال الطقس، ثم سأل وهو يتقدّم من النار: «هل سنكمل؟».



فرّد هنتر بسؤال: «وهل من سبب يمنعنا؟».

- المطر.

- إنه خفيف. إذا ما ساء حال الطقس فسنتوقف، وإلا فسنمضي قدماً.

بدا واضحاً أن بيتر مستاء إذ تناول فطوره متبرماً، ومن ثم ذهب ليوضّب أغراضه.

كان للطقس تأثيره في بيتر وحديثه اللامتناهي، إذ راح يجرُّ قدميه طوال الطريق صامتاً كالفأر.

كانت أصوات النزهة وروائحها تروق كثيراً لهيثر. كان وجهها رطباً إلا أن جسمها بقي جافاً. وازدادت برودة الطقس، إلا أن سماكة الثياب التي ترتديها أبقتها دافئة ومرتاحة. ومع مرور ساعات النهار شعرت أنها تحب الرّحلة في هذا الطقس حيث الأمطار خفيفة، لا سيما إذا أبقى بيتر هاورد صامتاً!.

كان هنتر يمشي أمامها فأخذت تراقبه وهي تتبع خطواته. هل هو القدر الذي جمعهما ثانيةً؟ ودّت لو تعتقد ذلك، لكنها ليست مقتنعة بهذا المفهوم. وبحسب جون، حان الوقت للحصول على فرصة ثانية.

فرصة ثانية؟ لكن ظروفها لم تتغير مطلقاً.

أما ظروف حياة هنتر فبلى. ها قد حصل على شهادته الجامعيَّة، وأسس شركة ناجحة لن تلقى المصير ذاته كمصنع أبيه. لقد بنى على أسس متينة.

أجل، أسس متينة ومن دون زوجة وحماة نكدة. صعقتها الفكرة فارتعشت.

لم تكن هيثر تعرف ما إذا تزوّج وهو لم يقل أو يفعل شيئاً يجعلها تعتقد أنه ما زال يهتم لأمرها. في الواقع، بدا غاضباً منها.

لعله تزوّج خلال السنوات العشر الأخيرة ورزق بأولاد! لم يتطرق أحد منهما إلى الحديث عن حياته الشخصية.

حاولت تصوّره كرجل متزوج، فتآكلتها الغيرة. كان هذا تصرفاً غبياً منها فهما مطلقان. هي من انفصل عنه. ومع هذا فإن فكرة وجود امرأة أخرى في حياته جرحتها أكثر مما كانت تتصوّر. فتفكيرها فيه لم يتخط حدود آخر مرّة رأته فيها. لقد توقف الزمن منذ عشر سنوات، بالنسبة إليها على الأقل. أما بالنسبة إلى هنتر، فلعل الزمن لم يتوقف.

ازداد المطر مع تقدم ساعات الصباح، ما اضطر هيثر لمسح رذاذ المطر عن وجهها غالباً. أخذت تنظر من حولها، لكنها لم تستطع أن ترى أبعد من الشجرات الرطبة والممر المكسو بإبر الشجر، الزلقة تحت أقدامهم بفعل الرطوبة.

كانت أكواز الصنوبر تملأ المكان، وقد بدا بعضها مكسوراً ومتآكلاً. لم يصادفوا أي نوع من الحيوانات التي لا بد أنها اختبأت من الأمطار.

وتمنت هيثر لو أنها إحداها.

توقف هنتر ما إن وصل إلى فسحة صغيرة، قائلاً: «أعتقد أننا سنستريح لفترة قصيرة».

فقال جون: «فكرة سديدة».

وردَّ بيتر: «لقد جلبت أوراق اللعب. إذا أردتم تمضية فترة بعد الظهر هنا، فنستطيع لعب مباراة أو اثنتين من البوكر».

هزت هيثر رأسها قائلة: «العبوا أنتم، أما أنا فلا».

كان هنتر قد شرع في نصب خيمتهما. أما جون فسارع إلى إقامة الخيمة التي يشاركه فيها بيتر.

وعندما انتصبت الخيمتان، فتح هنتر الباب لهيثر، فنزعت عنها الحقيبة وزحفت إلى الداخل. كانت تشعر بالبرد لكنها لم تكن مبللة. تبعها هنتر فضاقت بهما الخيمة واضطرت هيثر إلى الانتقال إلى الجهة المقابلة.

قال وهو ينزع الحقيبة عن ظهره: «أنا لا أعرف الكثير عن البوكر».

وأقفل سحاب الخيمة فبدت وكأنها شرنقة.

قالت هيثر، وهي تمسح بكمها الماء عن وجهها: «الخيمة جافة على



الأقل».

فأجاب هنتر: «طقس اليوم يفوق طقس البارحة برودة».

وجلس متكئاً إلى حقيبته وهو يتأملها.

كانت تبادله النظرات وتتساءل عما عساها تقول له، فقد قالت كل ما لديها. ها هما يمضيان فترة بعد الظهر الممطرة معاً، كغريبين.

سألته بدهشة واضحة: «هل تزوجت؟».

واعترتها موجة من الخجل، لكنها لم تتوانَ عن طرح السؤال. كانت بحاجة إلى أن تعلم.

- كدت أفعل لمرتين، إلا أنني لم أكن مستعداً لخوض التجربة من جديد. فبعد رحيلك وهروب أمي، تصوّرت أنني لست من النوع المزواج. وأنتِ هل تزوجتِ؟.

هزت هيثر رأسها قائلة: «لم يتغير السبب الذي فسخت من أجله زواجنا. فلدي أم أعتني بها، وما من رجل يرغب في الارتباط بزوجة وأمها في آن معاً».

لم يكن عليها إخباره بأنها نادراً ما تواعد أحدهم، وأنها لا تشارك إلاّ بمناسبات اجتماعية تساهم في تطوير شركة عمها.

كاد يتزوج مرتين، وهذا يعني أنه اهتم على الأقل لأمر امرأتين اثنتين. ما هو عدد النساء اللواتي واعدهن؟ وأخفضت نظرها إلى يدها، متمنية لو لم تسأل. آلمتها حقيقة أن الحياة تستمر، وأنها أضاعت فرصتها للحصول على السعادة الأبديَّة.

كان هنتر يعلم أن فترة بعد الظهر ستبدو طويلة. وما كادت ثلاث دقائق تمر على وجوده في الخيمة حتى ندم على قراره بالتوقف. أخذ يراقب هيثر متسائلاً عما يمكن لاثنين أحبا بعضهما يوماً أن يقولاه.

كان شعرها رطباً وملتصقاً بوجهها، وأضفى البرد على وجنتيها لوناً زهرياً، كما بدت متعبة. هل كان مثل هذا التعب يبدو عليها عندما



www.elromancia.com

التقاها للمرّة الأولى؟ هل استنزفت الرحلة قواها؟

كان يتوق إلى لمس شعرها ومساعدتها على تجفيفه لئلا تصاب بالبرد. هل سيمضيان الوقت جالسين حتى يحل الظلام فيناما؟ ساعات طوال تفصلهما عن ذلك.

وفتح هنتر حقيبته وسحب غطاءً وكيساً للنوم، فسألته هيثر: «ماذا تفعل؟».

- أجهز الفراش، قلّما يستهويني الجلوس على الأرض الصلبة طيلة فترة بعد الظهر، كما أتوقع أن يستمر هطول الأمطار حتى ساعات الليل.

لم تستغرق العملية الكثير من الوقت، فوضع الحقيبة قرب باب الخيمة وتمدد على الفراش. شبك هنتر يديه تحت رأسه، وراح يحدق إلى السماء متأملاً.

لم تتزوج هيثر ثانية، فالأمور من منظارها ما زالت على حالها. إلى أي حدّ أمها مصابة؟.

لم يتمكن هنتر من حضور مأتم أبيها لأنه كان يجري الامتحانات النهائية. وقد أصرّت هيثر على ألاّ يتغيب عن الامتحان، وأن ينهي الفصل، فهي لم تتمكن من إكمال امتحاناتها بسبب عودتها إلى سياتل.

لم يحظ هنتر بفرصة التعرف إلى والديها. أما هي فقد التقت والده أثناء حفل الزفاف، وما زال والده يسأل عن أحوالها من وقت إلى آخر من دون أن يتمكن هنتر من الإجابة عن سؤاله مرّة.

نظر إلى هيثر، فلم تأت بأي حركة.

عندئذ، مد يده وشدّها من أحد كمّيها قائلاً: «ضعي فراشك أرضاً لتشعري براحة أكبر».

نظرت هيثر إليه، وشعرت بحرارة أصابعه على بشرتها الباردة، وكأنما تيار صاعق تغلغل مباشرة إلى أعماقها. انقطعت أنفاسها وتساءلت عما إذا كان قلبها قد توقف عن الخفقان. لم تتأثر يوماً بلمسة رجل، كما لم



تساورها مثل هذه المشاعر والأحاسيس التي جمعت بين الشوق والرغبة والندم.

خفض هنتر نظره إلى شفتيها اللتين انفرجتا لتأخذ نفساً. هذا جنون، ومن الأفضل لها أن تتمالك نفسها.

رمقته بنظرة سريعة فوجدت أن تعابيره لا تحمل شيئاً غير اعتيادي. لمسته أثارت أحاسيسها فراحت تنظر إلى يديه وهي تعي أن الاحمرار يعلو وجهها. لطالما أحبت لمساته، وعشقت يديه القويتين. مرّت سنوات طوال منذ أن لمسها أحدهم، سنوات طوال جداً.

قالت له: «فكرة سديدة».

وجرّت نفسها باتجاه الحقيبة لتفتحها وتسحب الفراش وكيس النوم. مددت الفراش والكيس على أرض الخيمة مبتعدة عن هنتر قدر الإمكان، ثم مدّت يدها وتناولت بعض الطعام المخصص للرحلة وزجاجة الماء، وأخذت تأكل جالسة على حافة فراشها.

فسألها هنتر: «أتتناولين طعام الغداء؟».

- أجل، أظن أننا لن نشعل ناراً تحت المطر.

- سنفعل ذلك لاحقاً.

- بأغصان رطبة؟.

- تجدين دائماً أغصان جافة إذا ما اتبعت طريقة معينة في البحث.

هزت هيثر كتفيها، وشربت جرعة من ماء ثم نظرت إلى هنتر. كان النظر إليه يعطيها إحساساً غريباً. كان يتأمل في عينيها مباشرة، بعينيه العميقتين اللتين لا يسبر لهما غور. فطرفت بعينيها وهي تكاد تختنق.

- هل لي برشفة؟.

أعطته هيثر الزجاجة. فتناولها وهو ينظر إليها عن كثب وكأنه اكتشف أحاسيسها.

أشاحت بنظرها عنه، والاضطراب يدفعها إلى الرحيل، وإلى عدم التفكير بالرجل الذي بجانبها. إنها هنا في مهمة، وهي تريد إنجازها

والرحيل. لن تعلّق آمالاً على الرجل المزعج الذي يجلس بالقرب منها.

أعاد لها الزجاجة فمدّت يدها وتلامست أصابعهما، ما ولّد تياراً صعقها حتى أخمص قدميها. رفع نظره إلى عينيها، ففضحت تعابيره إحساسه.

كان قلب هيثر يخفق بقوة، والهدير يملأ أذنيها وراحت تتنفس بصعوبة وكأنها سارت لساعات. هل هي على وشك الإغماء؟ أحست أنّ الخيمة ضيقة جداً، وأنها تحتاج للهواء، للمساحة، للابتعاد عن هنتر برادّوك!.

صَعقتها رجولة هنتر الذي بدا وكأنه جزء من الحياة البريّة، لا سيما إذا ما قارنته بالرجال الآخرين في الوكالة. لم تستطع أن تتصوّره كأحد أعضاء مجلس إدارة الشركة رغم علمها أنه يبلي حسناً في منصبه.

- سيكون هذا الجزء الأطول في الرحلة، وعلينا الاستفادة منه.

ثم أدار نظره مجدداً إلى السماء فعادت السكينة إلى هيثر.

أنهت تناول طعامها وشربت القليل من الماء، ثم فتحت دفتر المذكرات وشرعت تكتب.

قال لها هنتر بعد بضع دقائق: «يا لإخلاصك اليومي لدفتر مذكراتك».

- إنه دفتر يوميات، فأنا لم أقم برحلة تخييم من قبل. روعة المشاهد التي صادفتها هنا لم أصادفها في أي مكان. أود لو نمرُّ بأمكنة ذات مساحات خالية من الأشجار حتى أتمكن من النظر إلى المسافات البعيدة. على أي حال، ستساعدني مذكراتي في ابتكار إعلان للمعدّات الخاصّة بالتخييم، على ما أظن.

فبادر إلى سؤالها: «ماذا عن المعدّات الرياضيّة الأخرى؟ هل ستختارين رياضة كرة القدم أم التزلج؟».

نظرت إليه وهي تفكر مليّاً، ثم أمالت رأسها قليلاً لتقول: «قد أحضر المناسبات الرياضيّة على الأقل. هذا إذا حصلنا على المشروع طبعاً».

- هكذا إذاً!



وعاد يمعن النظر فيها من جديد، فسألته: «ماذا هناك؟».

- تقودين القديس إلى الجنون هيثر. أردت خوض هذه التجربة وإنهاءها من دون أي تعقيدات. تباً لك، لماذا تصعبين الأمر عليّ؟.

- لكني لم أفعل شيئاً!.

- هذا ما أنت عليه.

واستدار إلى جانبه الأيمن وأدار لها ظهره. رفعت هيثر أنفها بتبرم وعادت إلى مذكراتها، غير أن مشاهد الصباح محيت من ذاكرتها ليحتل هنتر تفكيرها.

لم يتوقف المطر طيلة فترة بعد الظهر. وحين فرغت هيثر من تدوين ما استطاعت، انسلّت في فراشها. كان الضوء في الخيمة خافتاً بحيث تصعب عمليّة الكتابة. كما أنها كانت لا تزال تشعر بالتعب وبقليل من الضجر. بدا هنتر نائماً، لذا لم تحاول التحدّث إليه.

كان لنغم قطرات المطر وقع مهدئ. استدار هنتر نحوها فنظرت إليه. كان لا يزال مستيقظاً، فقالت: «ظننت أنك تأخذ قيلولة».

- لقد غفوت قليلاً. لكني لست معتاداً على النوم خلال النهار.

ثم استوى في جلسته وسألها: «وأنت، هل نمت؟».

- بل كنت أدون بعض الملاحظات. لدي فكرة عن استخدام المعدّات الخاصة بالتخييم لأهداف غير هدفها الأصلي. وبما أنّ سعرها باهظ قد يلجأ الناس إلى شرائها إذا ما وجدوا فائدة أخرى لاقتنائها.

- إنه أمر مثير للاهتمام.

- كما يمكننا توسيع الخطة لتشتمل على المعدّات الأخرى.

- كرياضة الكاياك مثلاً؟.

وابتسمت له قائلة: «إلا إذا رغب أحدهم في وضع الزورق في غرفة الجلوس على أنه مزهريّة ضخمة. إنما لابدّ أن نجد في المتاجر أغراضاً عدّة ذات استعمالات متعددة إذا ما فكرنا في الأمر؟».

- ممكن...

وسألته قائلة: «ماذا لو استمر المطر حتى الغد؟ فهل سنمكث هنا أم ستابع رغم الأمطار؟».

- هل تستسلمين؟

- إنه الفضول. كما أني أراهن على أن جون وبيتر يتساءلان عن الموضوع نفسه. أنت تتسرع في الحكم على مشاعر لم تخطر لي البتة.

- ماذا كنت تتوقعين؟

- لقد قمت بما اعتبرته صائباً.

- متى؟

- منذ عشر سنوات، طبعاً. ألا تلمح دوماً إلى ذلك؟ فأنت لم تكن بحاجة إلى ضغط إعالة زوجة عاطلة عن العمل وحماة مقعدة. ماذا لو بقينا معاً؟ لم نكن نملك أي أموال، ورعاية أمي استنفدت مدخراتنا كلها. لقد بعنا المنزل واشترينا شقة وانتقلنا للعيش فيها بعد خروج أمي من مركز التأهيل. فماذا كان ليحل بمشاريع الجامعة والحياة المستقبلية؟ ما كنت لأسمح بأن تغيّر مجرى حياتك بسبب الحادث.

استدار إلى جانبه واتكأ إلى أحد مرفقيه ينظر إليها غير مصدّق: «أتقولين إنك وضعت حداً لزواجنا من أجل مصلحتي؟ هيا يا هيثر، تطلبت حال أمك بقاءك معها فاخترتها هي. إن هذا واضح، إما هي وإما أنا، فاخترتها هي».

- كانت أمي بحاجة إليّ.

- وأنا، ألم أكن كذلك؟

- كلا، فأنا لم أعرف أحداً يتمتع بالاستقلالية مثلك أنت. لقد أمضينا أوقاتاً رائعة معاً، وستبقى تلك الذكريات حيّة في مخيلتي. لكن الحياة ليست بهذا الكمال. كيف تريدني أن أدير ظهري لأمي وهي بأمسّ الحاجة إليّ؟

- والآن يا، هيثر، هل لا تزال أمك بحاجة إليك ليلاً نهاراً؟

- أجل... إنها في كرسي نقال.



- ملايين من الناس يتدبرون أمرهم بشكل رائع ومن دون مساعدة بالرغم من شللهم. ثم إن هناك العديد من المتخصصين بالعناية الصحية ويمكنهم مدّ يد العون عند الحاجة.

فأجابته: «تتكلم مثل سوزان».

- ومن هي سوزان تلك؟

- إنها زوجة عمي ساول وهي لا تكف عن إخباري بأن أمي تتلاعب بي، وأنها تستطيع تدبر أمورها بنفسها. إلا أنها لا تحب أمي. ليتك ترى مدى اتكالها علي.

- إلى أي مدى؟

- ماذا تقصد؟

- هل تبقين بجانبها على مدى الأربع وعشرين ساعة؟ طبعاً، لا. وإلا لما استطعت العمل أو حتى القيام بهذه الرحلة.

- أحضّر الفطور لكلينا صباحاً، وأعود كل مساء عند موعد تناول العشاء، ومن ثم أساعدها للتحضر للنوم.

- وبعد؟

- وبعد، ماذا؟

- ماذا بعد؟

- هذا كل شيء. وفي نهاية الأسبوع وفي حال رغبت بالخروج، نذهب إلى السوق أو إلى أحد متاجر الفيديو لاستئجار بعض الأفلام. إلا أنها لا ترغب كثيراً في الظهور في العلن، فتمضي عادة معظم أوقاتنا داخل جدران المنزل.

واستلقى مجدداً قائلاً: «لا يبدو لي أنها تحتاجك، فباستطاعتها الاعتماد على نفسها ليلاً ونهاراً. لعلها تحتاج إلى القليل من المساعدة في إعداد الطعام وارتداء الملابس».

فتحت هيثر فمها لتعترض لكنها سرعان ما عادت وأقفلته، فأمها تتدبر أمورها طوال النهار.



www.elromancia.com

قالت بهدوء: «أنا كل ما لديها».

- يخيَّل إليَّ أنها تحتاج إلى أن تعيش، إنها تحتاج إلى أصدقاء. أليس لديها أي هوايات؟ ماذا كانت تفعل قبل الحادث؟

رفعت هيثر نظرها إلى السماء، تستعيد الذكرى. لطالما كانت أمها مشغولة وإن لم تكن بغاية السعادة.

- كان لديها العديد من الأصدقاء ووظيفة في فرن مجاور. كما أنها انضمت إلى نادي صناعة الأغطية بالقرب من منزلنا القديم. أما اليوم فلم تعد ترى أياً من النسوة اللواتي كانت تعمل معهن.

- ولِمَ لا؟

لم تكن هيثر واثقة من السبب فقالت: «لقد ترك الحادث أثره العميق عليها».

وإلا لما ابتعدت أمها عن أصدقائها القدامى؟ في البدء، كانت تبذل جهداً جباراً لتنهض وترتدي ثيابها. لكن ومع مرور الأشهر والسنين باتت أكثر قدرة على التعامل مع متطلبات الحياة اليومية.

إنها تنجز ما اعتادت القيام به فقط، فهل تستطيع القيام بالمزيد؟ نظرت هيثر للمرَّة الأولى إلى الأمور من منظار هنتر، وكما حاولت سوزان أن تصوّرها لها مراراً وتكراراً.

سألها هنتر: «لعل هذا ما كان عليه الوضع منذ عشر سنوات. وإن لم تكن ترغب باستعادة حياتها، فلِمَ تزعج نفسها؟ يبدو أنها اعتادت هذا النمط من الحياة. هل أنتِ على علاقة بأحدهم؟».

هزت هيثر رأسها نفياً: «ليس لدي ما يكفي من الوقت لإقامة علاقة».

- أمك ستمانع، أليس كذلك؟

وصمتت هيثر. لطالما عارضت أمها خروجها بهدف المرح، فيما لا تبالغ في شكواها إذا ما علمت أن الموعد على علاقة بالعمل. إلا أنها كانت تصرُّ دوماً على عودة هيثر في الوقت المحدَّد لتساعدها على الخلود إلى



النوم.

وحين لم تجبه علّق: «أو لعلَّك تعلمت من زواجنا ولم تعودي تقطعي وعداً لن تقوي على الوفاء به».

- سبق وأخبرتك أني قمت بما ظننته صائباً. هل تعتقد أن الانفصال كان سهلاً عليَّ؟ لقد أحببتك هنتر. أمضيت أسعد أيام حياتي معك في الجامعة. تخليت عن هذا كلّه لأعود إلى ديباري لأهتم بشؤون عائلتي بعد وفاة أبي وإصابة أمي. وماذا فعلت أنت غير إدانتي؟ لم تبذل أيّ جهد لإنقاذ زواجنا.

- بل لقد اتصلت وتركت رسائل عدة، وحضرت إلى سياتل في عطلة نهاية الأسبوع. فردّني عمّك ساول على أعقابي. قال بوضوح ألا أزيد التعقيدات، وإن من الأفضل لي ألاّ أحاول الاتصال بك. هذا كلامه حرفياً.

نهضت هيثر ونظرت إليه مرتعبة: «لا يمكن لهذا أن يحصل، فلم يكن أحد على علم بزواجنا».

وانتصب هو أيضاً فأصبحا وجهاً لوجه: «يبدو أن ساول كان يعرف، كما أظن أن والديك كانا على علم بذلك. أعتقد أنهما كانا ينتظران نهاية الفصل حتى يثيرا القضية، لكن الحادث غيَّر مجرى الأمور. ألم يكن ساول من تولى شؤون العائلة بعد وفاة والدك؟».

- بلى.

- لقد علم من أكون حين اتصلت به للمرَّة الأولى. أظن أن عليك أن تعرفي ما إذا كان والداك على علم بالأمر. أراهن على ذلك.

- لا أصدق أنك حاولت الاتصال بي ولم يعلمني أحد بذلك.

- أين كنت في الأيام الأولى؟

- في المستشفى معظم الوقت، وأحياناً كانت العمّة سوزان تأخذني إلى منزلها كي أرتاح.

كان المأتم أليماً إذ لم تكن واثقة من أن أمها ستنجو. وتذكرت كيف

قالت بهدوء: «أنا كل ما لديها».

- يخيَّل إليَّ أنها تحتاج إلى أن تعيش، إنها تحتاج إلى أصدقاء. أليس لديها أي هوايات؟ ماذا كانت تفعل قبل الحادث؟

رفعت هيثر نظرها إلى السماء، تستعيد الذكرى. لطالما كانت أمها مشغولة وإن لم تكن بغاية السعادة.

- كان لديها العديد من الأصدقاء ووظيفة في فرن مجاور. كما أنها انضمت إلى نادي صناعة الأغطية بالقرب من منزلنا القديم. أما اليوم فلم تعد ترى أياً من النسوة اللواتي كانت تعمل معهن.

- ولمَ لا؟

لم تكن هيثر واثقة من السبب فقالت: «لقد ترك الحادث أثره العميق عليها».

وإلا لما ابتعدت أمها عن أصدقائها القدامى؟ في البدء، كانت تبذل جهداً جباراً لتنهض وترتدي ثيابها. لكن ومع مرور الأشهر والسنين باتت أكثر قدرة على التعامل مع متطلبات الحياة اليومية.

إنها تنجز ما اعتادت القيام به فقط، فهل تستطيع القيام بالمزيد؟ نظرت هيثر للمرَّة الأولى إلى الأمور من منظار هنتر، وكما حاولت سوزان أن تصوّرها لها مراراً وتكراراً.

سألها هنتر: «لعل هذا ما كان عليه الوضع منذ عشر سنوات. وإن لم تكن ترغب باستعادة حياتها، فلِمَ تزعج نفسها؟ يبدو أنها اعتادت هذا النمط من الحياة. هل أنتِ على علاقة بأحدهم؟».

هزت هيثر رأسها نفياً: «ليس لدي ما يكفي من الوقت لإقامة علاقة».

- أمك ستمانع، أليس كذلك؟

وصمتت هيثر. لطالما عارضت أمها خروجها بهدف المرح، فيما لا تبالغ في شكواها إذا ما علمت أن الموعد على علاقة بالعمل. إلا أنها كانت تصرُّ دوماً على عودة هيثر في الوقت المحدَّد لتساعدها على الخلود إلى



النوم.

وحين لم تجبه علّق: «أو لعلَّك تعلمت من زواجنا ولم تعودي تقطعي وعداً لن تقوي على الوفاء به».

- سبق وأخبرتك أني قمت بما ظننته صائباً. هل تعتقد أن الانفصال كان سهلاً عليَّ؟ لقد أحببتك هنتر. أمضيت أسعد أيام حياتي معك في الجامعة. تخليت عن هذا كلّه لأعود إلى ديباري لأهتم بشؤون عائلتي بعد وفاة أبي وإصابة أمي. وماذا فعلت أنت غير إدانتي؟ لم تبذل أيّ جهد لإنقاذ زواجنا.

- بل لقد اتصلت وتركت رسائل عدة، وحضرت إلى سياتل في عطلة نهاية الأسبوع. فردّني عمّك ساول على أعقابي. قال بوضوح ألا أزيد التعقيدات، وإن من الأفضل لي ألاّ أحاول الاتصال بك. هذا كلامه حرفياً.

نهضت هيثر ونظرت إليه مرتعبة: «لا يمكن لهذا أن يحصل، فلم يكن أحد على علم بزواجنا».

وانتصب هو أيضاً فأصبحا وجهاً لوجه: «يبدو أن ساول كان يعرف، كما أظن أن والديك كانا على علم بذلك. أعتقد أنهما كانا ينتظران نهاية الفصل حتى يثيرا القضية، لكن الحادث غيَّر مجرى الأمور. ألم يكن ساول من تولى شؤون العائلة بعد وفاة والدك؟».

- بلى.

- لقد علم من أكون حين اتصلت به للمرَّة الأولى. أظن أن عليك أن تعرفي ما إذا كان والداك على علم بالأمر. أراهن على ذلك.

- لا أصدق أنك حاولت الاتصال بي ولم يعلمني أحد بذلك.

- أين كنت في الأيام الأولى؟

- في المستشفى معظم الوقت، وأحياناً كانت العمّة سوزان تأخذني إلى منزلها كي أرتاح.

كان المأتم أليماً إذ لم تكن واثقة من أن أمها ستنجو. وتذكرت كيف



www.elromancia.com

كانت تبكي حتى تغفو طوال تلك الليالي. ولكم ظنت أنها ستموت لافتقادها حنان هنتر ورعايته.

وحده خوفها على حياة أمها حال دون عودتها إلى شيكاغو وطلب الحصول على فرصة ثانية.

أما أوراق الطلاق فكانت قد أنجزت بالكامل عندما اكتشفت إمكانية نجاة أمها وشفائها.

قالت: «هذا يغيّر الأمور».

فأجابها: «بل لا يغير شيئاً بنظري. تخليت عني لأن عائلتك كانت بحاجة إليك. لقد اتخذت قرارك وهو لم ينص على بقائنا معاً».

- لم أكن أعلم أنك اتصلت.

- حقاً! لم أكن ألعب لعبة القط والفأر، حيث تهربين وأقوم بملاحقتك. كنت أسعى للاستعلام عن أحوالك وأمك، لكني ما جنيت سوى الطرد. كان بإمكانك الإتصال بي، فالخطوط الهاتفية تعمل في الاتجاهين.

إلا أن مشاعرها المجروحة منعتها من الاتصال فضلاً عن تصميمها على المضي قدماً في قرار حسبته صائباً.

لقد أوضحت له وجهة نظرها فلم يُبدِ اهتماماً. لقد تخلت عنه، وبدا أن هنتر لن يسامحها يوماً.

قالت له: «قمت بما اعتبرته صائباً، وتبيَّن أنه أتى ثماره. فلديك شركتك الرائعة وأعمال مزدهرة كما أنك لن تصادف مشكلة في إيجاد امرأة أخرى. أنا على ثقة من أنك ستتمكن من التعرف إلى امرأة تنشئ معها عائلة وتكمل معها الطريق حتى تبلغا سن الشيخوخة».

عندئذ، أطلق ضحكته الخشنة وردّ قائلاً: «لا تكوني واثقة من ذلك. فقد بت كثير الشك في هذا المجال».



## ٦ - ممر الذكريات

وجاء صوت بيتر من خارج الخيمة: «أنتما في الداخل، هل أنتما صاحيان؟».

مدّ هنتر يده وفتح الباب سائلاً: «ما الأمر».

- يحمل جون قطعة خيش مشمَّعة في حقيبته. ولقد فكرنا في تهيئة غطاء ما واشعال النار، فأنا لا أرغب في تناول عشاء بارد. فما رأيكما؟».

- أمهلني دقيقتين.

وتناول هنتر الواقي من المطر وارتداه. ثم خرج من الخيمة مسروراً بهذه الفرصة للابتعاد بعد أن اكتشف مشاعره تجاه هيثر. إذاً، لقد تخلّت عنه لمصلحته.

شعر بغضب شديد. لِمَ لم تثق به منذ عشر سنوات وتنتظر لتعرف كيف سيعالج الأمور؟ أم أن ما فعلته ضرب من ضروب الشفقة؟ في كلا الحالين، لم ينجح الأمر. كان لا يزال مرتاباً فهي قد تخلت عنه، وما من شيء يبدل هذه الحقيقة. تصرفت تماماً كما فعلت أمه من قبل.

كان جون يعمل على ربط أحد الحبال بجذع شجرة قريبة، فقبض هنتر على حبل آخر وشدَّه إلى جذع شجرة أخرى. أما بيتر فاختار طرفاً ثالثاً للحبل وأصبح المكان جاهزاً في غضون دقائق معدودة. لم تكن المساحة المغطاة كبيرة غير أنها كافية لإشعال النار ولجلوس أعضاء الفريق.

قال هنتر: «والآن، لنجد ما يكفي من حطب لإشعال الموقد».

انضمت هيثر إلى الفريق وهي تقول: «سأساعد في جمع الحطب إذا ما



www.elromancia.com

أرشدتموني إلى كيفية جمع الأغصان الجافة رغم هذا المطر الغزير».

فأجابها جون: «ابحثي بالقرب من جذوع الأشجار الكثيرة الأغصان فهي تبعد مياه الأمطار عن الجذع الرئيسي».

وأضاف هنتر: «أو انظري تحت أكوام الأوراق. فما يطفو من أوراق يمنع وصول البلل إلى الطبقات السفلى وغالباً ما يترك الاغصان جافة».

ودّ هنتر لو تبقى داخل الخيمة إلا أنه فضّل عدم طرح الفكرة. يكفي أن جون بات يعرف شيئاً عن ماضيهما معاً، وهو لم يشأ أن يثير شكوك الآخرين بتفضيل هيثر على الباقين وتمييزها.

استمرت مهمة إيجاد ما يكفي من موّاد جافة لإشعال نيران لساعات شاقة. ولكنهم تمكنوا في النهاية من جمع كومة كبيرة من الحطب.

قالت هيثر: «ليت هناك جدولاً نغتسل فيه».

ومسحت يديها ببعضهما في محاولة منها لإزالة الأوساخ والأوراق العالقة فيهما.

نصحها بيتر: «ضعيهما تحت المطر فتنظفان بسرعة».

وهكذا فعلت قبل أن تحتمي تحت الغطاء مجدداً. كانت تشعر بالبرد، ولن ترتاح إلا إذا اشتعلت النيران في أقرب وقت ممكن.

أشعل هنتر النار، وأخذ يغذيها بالأغصان شيئاً فشيئاً ليتأكد من استمرار اشتعالها. مضت دقائق عدّة قبل أن تتأجج النيران بقوّة وتبعث الدفء من حولهم. علّق بيتر وعلامات الرضا بادية على وجهه: «سنتناول عشاءً ساخناً هذه الليلة».

فقال هنتر: «سنتدبر وعاءً ما نجمع فيه مياه الأمطار ونغليها. وإذا استمر انهمار المطر على هذا المعدّل فسنحصل على ما يكفي لنغتسل ونطهو الطعام مع حلول وقت العشاء».

راقبت هيثر هنتر كيف يتولى إدارة الأمور. أهو قادر دوماً على قيادة الرجال؟ وتذكرت أن اهتمامها كان مقتصراً عليهما ولم تكترث كثيراً لرؤيته مع الآخرين.



قفلت راجعة إلى الخيمة لإحضار أدوات الطهو والطعام المجفّف.

إنها ترغب في وجبة ساخنة علّها تشعر بالدفء. نظرت إلى يديها فوجدتهما متسختين باردتين، كما لاحظت أن أحد أظافرها انكسر. لقد أنفقت مبلغاً طائلاً على هذه الأظافر الاصطناعيّة، لكن يبدو أنها ليست مصممة لمقاومة الحياة البريّة.

وينطبق هذا عليها هي أيضاً. فهي تشعر بالبرد والرطوبة والانزعاج فضلاً عن الحيرة التي انتابتها جراء مشاعرها تجاه هنتر. لم تكن ترغب في أن تهتم لأمر هذا الرجل. لقد افترقت عنه وأبطلت زواجهما ولم يتغير أيّ شيء منذ ذلك الحين. أمها ما زالت بحاجة إليها ولن تتمكن من الانتقال للعيش في دنفر حتى لو طلب هنتر منها ذلك. لقد فعلت الصواب، وعليها إقناع نفسها بذلك.

إلا أن احتمالات أخرى عادت تخطر لها من جديد. ماذا لو كانت أمها قادرة على تدبّر أمرها بحسب ما تقوله سوزان؟ ماذا لو منحها هنتر فرصة ثانية؟ ماذا عليها أن تفعل؟ أتقبل بها؟.

ناداها هنتر من قرب الموقد قائلاً: «هيثر، هلا جلبت أغراضي؟».

- حسناً.

سبق لهيثر أن رأت الجزء الذي خصّصه هنتر لوضع أدوات الطهو فعادت إلى حيث تشتعل النيران وهي تحملها.

أخبرته وهي تسلّمه المعلبات: «لم أعرف ماذا تريد أن تأكل، فأحضرت لك صنفين لتختار».

وتلامست أيديهما. أتراها صدفة؟ فالشرارات التي تطايرت مذهلة.

- شكراً.

لم ينظر إليها.

أطلقت هيثر تنهيدة ناعمة واقتربت من النار. يا للدفء الذي شعرت به! ولكم رغبت في أن تبقى بالقرب من النيران طوال الليل والنهار، فهي لا تنتمي إلى هذا العالم. لم يكن لسوء حال الطقس وقع سيء على الرجال

ما عدا بيتر. فجون وهنتر بديا مستمتعين بالتصدّي لتقلّبات الطبيعة الأم، وقد أبليا حسناً حتى الآن.

تمنت لو أنها في المنزل، ووعدت نفسها بألاّ تخرج من شقتها في جو ماطر كهذا أبداً.

هل لديها أدنى فرصة للحصول على المشروع؟ لقد تكبدّت الكثير من العناء رغم أن حظوظها ضئيلة.

أتراها كانت تأمل في الحصول على أكثر من المشروع؟ أحلمت بأن يفهم هنتر وجهة نظرها، ويرى ما حصل من زاوية مختلفة؟ أتراه بهذا يرضى عنها؟ ثم ماذا؟ أيصبحان صديقين؟.

ساهمت الوجبة الساخنة في تحسين مزاج هيثر. وأحسّت بالدفء والجفاف نسبياً، والامتنان لسماع حديث الرجال المبهم.

من الطبيعي أن تولي حديث هنتر اهتماماً أكبر، فهو صاحب السلطة في اتخاذ قرار منح المشروع.

أخذت هيثر تتساءل وهي تتأمل أفراد الفريق الصغير على من سيرسو اختيارها فيما لو عاد القرار لها. ستختار من دون شك شركة «جاكسون أند برينس»، أما إذا لم يتحقق ذلك فتعتقد أنها ستتعاون مع جون. يمكنها أن تعمل معه لسنوات في حملة إعلانية تجعل من «ترايلزوست» حديث الناس كافة.

شركة «جاكسون أند برينس» قادرة على ذلك، أيضاً. وهي نفسها قادرة على ذلك، إذا منحها هنتر الفرصة. ستهتم بهذا العمل كما لن يفعل أيّ من المتنافسين الآخرين. فهي تدين له بأوقات ممتعة، وستعمل جاهدة على إعطائه أفضل ما لديها.

لكنه لن يكتفي أبداً بذلك.

أحبطت هذه الفكرة هيثر.

سألت: «هل لديكم فكرة عما ستفعله غداً؟».

فأجاب هنتر: «سنكمل إذا ما توقف المطر».



قال جون: «يمكننا متابعة الطريق في حال انخفضت نسبة الأمطار المتساقطة. لقد قمت برحلات في ظروف مناخية أسوأ من هذه».

وتدخّل بيتر: «وأنا أيضاً، إلا أن هذا لا ينطبق على الجميع هنا».

ونظر إلى هيثر. فأجابته بهدوء: «يمكنني الذهاب إلى حيث تستطيع أنت».

ودهشت حين نظرت إلى هنتر ووجدته يحدّق فيها متأملاً.

توقّف المطر في الصباح التالي، إلا أن الضباب ورطوبة الأشجار لم يتغيرا.

فك الجميع الخيم بعد تناول الفطور وانطلقوا، فانضم بيتر إلى هنتر مجدداً. قال جون مازحاً وهما يمشيان جنباً إلى جنب على بعد خطوات من الرجلين: «عجباً! كيف يظنّ أنه بإزعاج هنتر سوف يكسب المشروع؟».

ضحكت هيثر بهدوء وردّت: «لعلّه لا يدرك أنه يزعجه».

- ربما. أخبريني قليلاً عن «جاكسون اند برينس». أنا أعرف ساول جاكسون بالطبع، فنحن غالباً ما نلتقي في اجتماعات غرفة التجارة.

- إنها شركة عائلية بمعظمها، من دون أن يعني هذا أنها دون المستوى. إني أعمل معهم منذ تسع سنوات.

للحظة بدا الرقم مذهلاً. لطالما رغبت في أن تصبح معلّمة لكن عاكستها الظروف. وها هي اليوم تمضي أيامها في ابتكار الإعلانات وبيع المنتجات للعامّة، حتى أنها لا تعمل في مؤسسة للدمى أو شركة للألعاب. فلولا أيام العطل حيث تكون هيثر محاطة بأولاد ابن عمّها لا وجود للأطفال في حياتها.

- سمعتكم طيبة في سياتل، فساول رجل محترم.

- إنه عمّي. لقد كان رائعاً معي. أخبرني عن شركة «ستانون بروثرز»؛ أعرف أنكم إحدى أبرز الشركات في الساحل الغربي، إضافة لمكاتبكم في بورتلاند.

مرّ الوقت سريعاً وهما يسيران. كان جون مسلياً وقد أضحكتها دعاباته وملاحظاته غير مرّة.

وعندما توقف الجميع للاستراحة، رمقها هنتر بنظرة ذات معنى، وعلّق فيما انشغل الآخران بنزع حقيبتيهما: «أظنك تستمتعين بوقتك».

فردّت تقول: «هذا صحيح، ألا يفترض بي ذلك؟».

عندئذ أمرها: «رافقيني في الجولة التالية. أودُّ أن أعرف المزيد عن «جاكسون أند برينس»».

راقبته يبتعد قبل أن تتمكّن من الاعتراض على نبرته الديكتاتورية. لكن هدف الرحلة الأول هو التسويق لشركة «جاكسون أند برينس»، ويبدو أن هنتر سيحافظ على انفتاحه.

تعمّدت هيثر السَّير بجانبه، وهي تقص على مسامعه أخبار وكالتها، وسجلها الحافل ونسبة الأرباح التي حققتها الشركات التي تتعامل معها. إلا أنها لم تتطرق أبداً إلى المشاريع الخاسرة التي عرفتها مؤخراً. ففي بعض الأحيان، تقوم الشركات بتبديل الوكالات المسؤولة عن إعلاناتها بسرعة وبسهولة.

راح يستمع إليها من دون أن يدلي بالكثير من الملاحظات. فراقبته محاولة اكتشاف ما يخفيه من أفكار. جاهدت لتبقى معه في مسار واحد إلا أن همّها الأساسي تمحور حول معرفة المنحى الذي اتخذته حياة هنتر في السنوات العشر الماضية. كانت تعلم أنه أسس شركة ناجحة وكاد يرتبط بامرأتين.

هل سبق أن فكّر في ما يفوّتان؟ هل تمنى يوماً أن يبدأ من جديد، وأن يخصص لأمها مبلغاً من المال؟ بالطبع لا. لقد أوضحت له حين رحلت أنها لا تريد ما يربطه بها. لقد بدا لها هذا الحل الأنسب، إلا أن الظروف تغيّرت مع مرور السنين. فلديها عمل تكسب منه ما يؤمن مصاريف أمها كما أحرز هنتر النجاح الذي سعى إليه. ستكون الأمور مختلفة إذا ما ارتبطا من جديد.

كانت وتيرة الحديث تخف مع تقدّمهما. التفتت هيثر من حولها، تتأمل جمال الطبيعة. فالغابة عذراء لم تطأها قدم إنسان من قبل، وقد



شمخت الأشجار منتصبة من دون أن يمسّها الحطابون. لم ترَ أيّ نباتات طفيليّة، فالأشجار التي ظللت أرض الغابة منعت نمو الطفيليات على المنحدر.

استمتعت هيثر برؤية الطبيعة وسكينتها. وسرحت بخيالها، لكن صورة هنتر غالباً ما كانت تتراءى لها.

حث هنتر خطاه فاضطرت هيثر إلى اللحاق به. فهي لن تتيح له الفرصة كي يعترض، أو يبدي تعليقات ساخرة، إذ أنها تؤذيها. وجلّ ما أرادته هو أن تترك لديه انطباعاً حسناً.

جعل هنتر يتفحص المكان بين الفينة والفينة، فينظر إلى المشاهد ويتأملها. وكانت هيثر تتبع نظراته في كل مرّة.

كان الممر وعراً كثير الصخور. ولم يقطع حبل الصمت فيه سوى وقع أقدامهم على الأرض الرطبة، حتى بيتر بدا غارقاً في بحر الصمت. أو لعل جون لا يستحق التحدث إليه لأنه لن يجديه نفعاً في تحقيق غايته وهي إقناع هنتر بأن الشركة التي يمثل هي الأفضل.

راقبت هيثر خطوات هنتر السريعة ولاحظت أنه يشق طريقه في الغابة وكأنها طريق مدينة مهجورة. لم يكن هذا منصفاً، فقد عادت حقيبتها الثقيلة تنهكها. رفعت هيثر كمّها لتنظر إلى ساعة يدها فوجدت أنهم مشوا ساعة كاملة منذ توقفوا آخر مرة وأنّ الليل لا يزال يبعد ساعات عدة. في إحدى المرات اضطروا إلى القفز فوق بعض الحفر التي ملأت الطريق. وعند منعطف آخر، كان هنتر هو من توقف هذه المرّة.

ها هو النهر ينساب أمامهم، والمياه تسيل على الممرات الصخريّة. بدا النهر عريضاً من دون معبر يسهل عملية اجتيازه.

لم يكن هذا بالجدول الضيق الذي سبق لهم أن اجتازوا مثله. سألت هيثر بحدة: «أما من جسر؟».

انضم إليهما كل من جون وبيتر. وسرعان ما أطلق الأخير صفرة فيما قال هنتر متفحصاً منسوب المياه عند ضفتي الجدول: «سنضطر إلى

العبور فوق الصخور».

سألت هيثر وقد دبَّ الذعر فيها: «وكيف؟ ما من صخرة غير مغمورة بالمياه. لا أرغب في أن تتبلل قدماي لبقيَّة النهار. قد أتجمَّد أو حتى قد أقع في المياه».

قال هنتر وهو يمشي عكس التيار على ضفة النهر متفحصاً المياه، باحثاً عن طريقة عبور آمنة: «سوف ندور من حوله، بيتر، إذهب وجون من هذه الطريق. هيثر، تعالي معي، سنجد مكاناً آمناً نجتاز منه».

أخذت هيثر تراقبه مغتاظة. وتبعته، تبحث هي أيضاً عن مكان آمن لئلا تتبلل. مع حلول فترة بعد الظهر كان الطقس يزداد برودة، كما أن مياه الأمطار جمّدت عظامها. رغبت في المشي من جديد علَّها تعود تشعر بالدفء.

ناداها هنتر: «من هنا، هيثر».

لحقت به إلى الحافة، ونظرت إلى الجدول. رأت بعض الصخور بارزة. لكنها مبللة إما من الجدول وإما من مياه الأمطار. قال هنتر: «كلها زلقة. لكنني لا أود الابتعاد كثيراً عن المسار. إذا تمكنا من العبور، فستتوجه نزولاً لنلاقي الآخرين ونرشدهما إلى هنا».

لم يعجبها الأمر لكنها لم تتوقع إيجاد نقطة أفضل. لم تكن المياه عميقة، وستبلل قدميها، إلا أنها لن تغرق: «هل تذهب أنت أولاً، أم أسبقك؟».

- اذهبي أنت أولاً، وسألحق بك، لأساعدَك إذا ما وقعت.

رمقته بنظرة لترى ما إذا كان يسخر منها، إلا أن ملامحه لم تدل على شيء من هذا القبيل. وهذا يعني أنّ الممر محفوف بالمخاطر أكثر ما يبدو، أو أنه يشك في قدرتها على اجتيازه.

تفحصت هيثر الصخور، ورسمت لها صورة في رأسها لتتمكن من العبور بأسهل طريقة ممكنة.

انحنى هنتر نحو هيثر، فأصبح قريباً منها، وأرشدها بيده اليمنى قائلاً:



«إبدئي من هنا، ودوسي على تلك الصخرة هناك. أما الصخرة الثالثة فليست مغمورة بما يكفي لتبلل حذاءك. لا تطيلي الوقوف عليها لئلا يتسرّب الماء إلى الواقي».

حاولت اتباع تعليماته والنظر إلى حيث يرشدها، إلا أن اقترابه منها، وحرارة جسمه والنبرة المخمليَّة لصوته العميق طغت على كيانها ووعيها. كان قريباً جداً بحيث أنها لو استدارت لتلامس رأساهما.

أجبرت نفسها على التركيز على ما يقول.

- . . . ثم تصلين إلى بر الأمان.

فتمتمت قائلة: «لم أكن أسمع شيئاً».

وتمنت لو لم تكن شاردة الذهن. ودّت لو يرفع يديه عن كتفيها، ويمضي في شرح ما يتوجب عليها فعله. أحبت لمسة يديه ونبرته الواثقة، ما أثار ذكريات دفينة ناضلت لتدفنها من جديد. عليها عبور الجدول، لا اجتياز ممر الذكريات.

داست هيثر على الصخرة. لم تكن لتقلق كثيراً لو أن حقيبتها الثقيلة لا تخل بتوازنها. إلاّ أن هذا العبء الإضافي صعَّب عليها عمليَّة العبور.

وطأت على إحدى الصخور المغمورة بالمياه، فزلَّت قدمها. لكنها سرعان ما استعادت توازنها وعبرت إلى صخرة كبيرة مسطحة. اهتزت الصخرة قليلاً وترنحت تحت قدميها، فارتعدت لمجرّد التفكير في أنّ الأمر سينتهي بها في الجدول.

صرّت هيثر على أسنانها وسارعت تعبر الصخرة تلو الأخرى حتى تخطت الثلاث المتبقية ووصلت إلى شاطىء الأمان. علق الوحل بحذائها فاندفعت إلى الأمام، وارتمت على ركبتيها فرحة بعبور الجدول.

ارتسمت على وجهها ابتسامة رضا، واستدارت نحو هنتر الذي كان في عرض الجدول لتصرخ بحماس: «لقد نجحت!».

- أحسنت، لكنك ترنحت قليلاً فوق الصخرة المنبسطة، لذا سأحاول سلوك ممر مغاير.

إلاّ أنه لم يفعل بل ظلّ ينظر إليها من فوق المياه. مرّت اللحظات بطيئة قبل أن تخمد نار الابتسامة على شفتيها ويخفق قلبها سريعاً. قوة الجاذبية هزّت كيانها حتى فوق المياه المتدفقة. سرت الحرارة في وجنتيها وانتشرت في أنحاء جسدها فلم تعد تشعر بالبرد، واضطرت إلى إشاحة نظرها قبل أن تغرق في دوامة نظراته. أخفضت عينيها وراحت تتأمل صفحة المياه. من أين سيعبر يا ترى؟.

مشى هنتر على ضفة النهر صعوداً حتى قطع بضع ياردات قبل أن يبدأ بالعبور. اهتزت الصخور تحت قدميه مرتين، لكنه ما لبث أن لاقاها على الشاطئ نفسه في غضون لحظات. مشى إلى حيث كانت تجلس على مهل، وهو يشعر كمن تلقى لكمة في معدته. ما باله يحدق فيها هكذا؟ بدت غايةً في الحماسة لعبورها الجدول. كانت عيناها تلمعان وثغرها يشرق بابتسامة مشعة. رباه، كم كانت جميلة! ابتسم هنتر واضعاً يديه القويتين على ذراعيّ هيثر قائلاً: «مسار جيد بدون أخطاء، أليس كذلك؟».

وأخفض رأسه معانقاً إياها برقة. وفيما كانت هيثر تقترب منه أكثر قطع العناق وأمسك بها لحظة ليتأكد من ثباتها، ثم أشار عليها بالتقدم بمحاذاة الجدول، دون أن يتفوه بكلمة. هيثر لم تعُد ملكه، وعليه ألاّ ينسى ذلك.

- علينا إيجاد الآخرين ومتابعة سيرنا فلن يطول الوقت قبل أن نضطر إلى نصب الخيم.

لم يكن قراره متابعة الرحلة بالقرار الذكي بل كان يجدر به إيقاف الرحلة حين سقط جيس أو أصيب بيل بالمرض. كان ليكتفي بالحكم على الوكالة من خلال العمل الذي قدّمته، والذي يتماشى ورؤيته عن الشركة.

إلا أنه تابع المسير، وهو يعلم أن هيثر هي السبب. كان يحتاج إلى تصحيح مسار الأمور، فقد تركته منذ سنوات ولن تغيّر تمضية بضعة أيام معاً في الجبال شيئاً. لقد مضى قدماً تماماً مثلها.



وبدلاً من إلغاء الرحلة تابعها حتى أنه كان يتطلّع إلى تمضية الليل في المكان نفسه مع هيثر، هذه الليلة وفي الليلة الثالثة.

كان تنشّق عطرها من دون أن يلمسها عذاباً صامتاً. وإحساسه بها على بُعد خطوات منه والامتناع عن احتضانها وأخذها بين ذراعيه، وتذكُّر الأيام والليالي الحلوة التي امضياها معاً، ألم مرير. ناداهما بيتر من الجهة المقابلة: «لقد نجحتما بالعبور».

أخذ الجدول يزداد عمقاً وممراته تضيق، فقال: «يمكننا القفز، على ما أظن».

أجابه هنتر وهو ينزع الحقيبة عن ظهره: «لا تخاطر بذلك. وجدنا نقطة مثاليّة عند أعلى الجدول على مسافة قريبة من هنا».

ومن ثم وضع حقيبته أرضاً بجانب هيثر، وأوصاها: «انتبهي لها، فسأعبر بسرعة أكبر من دونها».

وعاد إلى نقطة العبور وهو يتحدث إلى كل من جون وبيتر اللذين تبعا خطواته وأكملا الطريق.

البقاء مع هيثر تحت سقف خيمة واحدة ليس العذاب الوحيد كما خطر لهنتر بعد أن انضم إليه بيتر مزهواً باستعراض قدراته وهو يعبر الجدول، فهذا الرجل يقود القديس إلى الجنون. إنما إذا اضطر إلى مجاراته من أجل البقاء مع هيثر فسيفعل. ستنتهي الرحلة بعد ثلاثة أيام، فيذهب كل منهم في طريقه من دون أن يرى الآخر مجدداً.

هذه الفكرة لم ترق لهنتر بتاتاً.

جلست هيثر بجانب الحقيبتين، تراقب هنتر وهو يمشي عكس التيار ثم أغمضت عينيها تستعيد سحر لحظة العناق.

كان عناقاً ودوداً على خلاف عناقات الماضي المليئة بالشغف والحميميّة. إلا أنها أحبت لمساته، ورائحة الصنوبر العابقة من حولهما، وثرثرة الشلال خلفهما. غمرها إحساس بالأمان وهي بين ذراعيه. إلاّ أنها لم ترتوِ بعد، فهي تريد المزيد.

لم يطل بهم الوقت حتى عادوا إلى الممر من جديد. أبقى هنتر هيثر بجانبه فيما لحق بهما كل من جون وبيتر. كانت تنظر إليه كلما استطاعت ذلك تمتّع نظرها برؤية قامته الممشوقة، وسهولة تدبره لأمور الرحلة. كانت معجبة جداً بالرجل الذي أصبح عليه، وتمنت لو شغلت جزءاً من حياته. هل سيريان بعضهما من وقت إلى آخر إذا ما نالت «جاكسون أند برينس» المشروع؟ أم أنه سيلجأ إلى التعامل مع مدير تنفيذي آخر، كما اقترحت عليه؟ وتمنت في تلك اللحظة لو لم تتفوه بالفكرة.

ما إن ابتعدوا عن الجدول حتى اتجه المسار صعوداً. فأخذ هنتر يتقدّم متوقفاً بين الحين والآخر لسلوك أسهل الطرق. كان يلتفت إليها لتقديم المساعدة فيأخذ يدها بين كفيه الدافئتين باعثاً في ذراعيها ذبذبات كهربائية تجتاح جسدها كله. لم تشأ أن يفلت يدها غير أنها كانت سرعان ما تسحبها وتتدبر أمرها بنفسها. وكانت نظرات هنتر الباردة إليها تزيدها ارتباكاً مع تواصل عملية التسلق.

أخذ بيدها من جديد عند أحد المنحدرات الصعبة. لم يتفوه بكلمة بل أخذ يمسّد البشرة الناعمة برقة. كانت يدها الصغيرة تائهة في بحر قبضته، وشعرت هيثر بموجات الدفء تتدفق بين أضلعها.

اختلست النظر إليه لتجد عينيه على الممر، وأفكاره تائهة في مكان مختلف آخر. وذبل ذاك الإحساس بالدفء بين يديه لتظهر مكانه أشواك فكرة أخرى. يبدو أن موجة الإنجذاب لم تجرفه، وهي تتخبط فيها وحيدة. كم هذا مثير للشفقة! وإن ظنت أنها تستطيع أن توقعه في غرامها من جديد، وأن تحصل على فرصة ثانية، فهي تتوهم حتماً.

كانت أصابعها ترتعش تحت قبضة يده ولمساته والدفء الذي يبعثه فيها. كان كفه ملتصقاً بيدها وكأنها جزء منه فشعرت بقوة قبضته. لم تكن هيثر ترغب في الراحة وحسب بل أكثر بكثير. يمكنها تمضية حياتها كلها مع هذا الرجل، فمعه تشعر بالأمان والحماية. كيف يمكن للحياة أن تكون برفقته وفي ظل حبّه ورعايته؟ ماذا لو لم يحصل ذلك الحادث؟ لو أن



أمها لم تصب بتلك الجراح البالغة؟ كانت هيثر تتوق إليه وإلى الليالي الحالمة الطويلة التي أغنت روحها وجعلت حياتها أكثر إشراقاً. كانت تتوق لرؤيته سعيداً بحبها من جديد، تتوق إلى محو سنوات الفراق الأليم.

حلمت بحياة بسيطة، بأن يلتقيا مجدداً في ظروف خالية من التعقيد. تعثرت على الممر وكادت تتوقف لتخبره بحاجتها إلى فرصة ثانية، لترى ما إذا كانت تستطيع تغيير مسار الأحداث. كانت تقع في حبه مرّة أخرى، في حب رجل لم تثر حتى إعجابه هذه المرّة! يا للسخرية! لقد تخلّت عنه، وها هي تحاول الآن يائسة أن تجد طريقة ما لاستعادة ما تخلّت عنه يوماً. وعادت تسترق النظر إليه.

هل يشعر نحوها بشيء غير الغيظ لاضطراره إلى تحمل رفقتها طوال الرحلة؟

استراح الجميع وتناولوا غداءً متأخراً ثم استأنفوا المسير، ليعود بيتر مجدداً إلى جانب هنتر.

قالت هيثر لجون: «إنه دورك الآن في المقدمة».

- لا تقلقي، سأحصل على دور. أتشوق لمعرفة من سيحصل على المشروع في نهاية الرحلة.

فأجابت: «آمل أن تحصل أنت عليه».

وأخذت تراقب الرجلين اللذين يسيران أمامهما.

فسألها جون: «ألا تتمنين أن تحصل وكالتك على المشروع؟».

- لا أعتقد أن لدينا أدنى فرصة.

سألها: «أتريدين التحدث في الموضوع؟».

- لا، ليس حقاً. ليس هناك ما أستطيع فعله.

- تقول زوجتي إنني مستمع جيّد.

فابتسمت بحزن: «إنك محظوظ لأن زوجتك تقول هذا عنك. أذكر أنّ أمي كانت تردّد أن أبي لا يصغي إليها البتة».

- بعض الرجال لا يفعلون.

- لم يستمع أحدٌ منهما إليَّ.
- بعض الأهل لا يصغون أيضاً.

فقالت وهي تستعيد ذكرى غضبهما عند زيارتها لهما في عطلة الميلاد: «عاملاني وكأني طفلة».

كانت حينها مغرمةً غراماً غيَّر حياتها إلى الأبد، وكل ما فعلاه هو معارضة الفكرة على اعتبار أن دراستها أهم من أي مغامرة عاطفية مع شاب صغير.

سألها جون: «كنت ابنتهما الوحيدة على ما أعتقد».

فهزت هيثر برأسها.

- لطالما ظننت أنّ من الصعب أن يكون المرء وحيد والديه، فيصبح محط الأنظار من دون أن يشاركه أحد المسؤوليَّة. أجل، من الصعب أن يكون المرء وحيداً. لطالما حلمت بمنزل مليء بالأولاد. وها أنا لم أتزوج حتى الآن، ويبدو أنّ ما من أمل في ذلك. يا لحظ كل اولئك الأولاد الذين رغبت فيهم.

توقفت هيثر ونظرت إلى جون مرتاعة: «أنا آسفة، لا أعرف لما أتفوه بكل هذه الأمور. فأنت حتماً لا تكترث لما يجري في حياتي. أنت هنا من أجل مشروع «ترايلزوست» فانس ما قلته».

وعاد يسألها: «ماذا حصل بينك وبين هنتر؟».

استأنفت المسير، وهي في حيرة من أمرها، أتخبره القصة كاملة أم لا. فهذا من شأن هنتر وحده، إلا أنها لم تتمكن قط من التحدث عن زواجهما وانفصالهما الأليم. ولعلها لن تلتقي جون أبداً بعد هذه الرحلة.

- قتل أبي وأصيبت أمي بجراح بالغة. لقد تخلّيت عنه من أجل الاعتناء بأمي. ظننت حينذاك أنه الحل الأفضل، إذ كان عليه أن ينهي دراسته الجامعيَّة ويشق طريقه في الحياة. هنتر لا يتحدر من عائلة غنيَّة، وكان عليه أن يناضل لتأمين الأموال اللازمة لدراسته في الجامعة. أعلم



أنه كان بإمكاننا أن نوقف دراستنا الجامعيَّة لإعالتي أنا وأمي لكني لم أحتمل التفكير هذا الخيار، إذ لم يكن عادلاً فرحلت.

- آسف بشأن والدك. وكيف حال أمك اليوم؟.

هزت هيثر رأسها: «إنها مقعدة في كرسي نقال، ما زالت تعاني».

لم يعلّق إلا أن هيثر توقعت أن يحلّل الموضوع ويتفهم.

وسارعت تقول: «لم أتوقع رؤية هنتر في هذه الرحلة. فأنا لم أتولَّ هذه المهمة إلا في اللحظة الأخيرة. لم أكن أعلم قبل قيامي بشراء المعدات الرياضية من متجر «ترايلزوست» في سياتل بأن هنتر هو أحد المؤسسين. ولم أتوقع قط مجيئه إلى الرحلة».

فأجاب: «كانت مفاجأة لكليكما، أو لعلها طريقة القدر في إعطائكما فرصة ثانية».

أغمضت جفنيها بشدة في وجه الأمل. هل يمكن لهذا أن يحصل؟.

أجابته آملة ألا تطمح إلى المستحيل: «لا أعتقد ذلك، فأمي لا تزال تعتمد عليَّ».

قال جون: «لكن الظروف تغيرت، وأظن أن هنتر قادر اليوم على إعالتك أنت وأمك».

- يا للفظاعة! لا يمكنني أن أعود إليه الآن وكأنه منقذي وحسب. لم أفكر يوماً في الأمر على هذا النحو. فنحن لا نستطيع استعادة علاقتنا طالما أن أمي بهذه الحالة!.

لن تدع هنتر يظن أنها تستغله مادياً. فهي وأمها على خير ما يرام. أما إذا تغيرت الأمور واستطاعت أمها الاعتماد على نفسها...

من تحاول أن تخدع؟ فأمها غير قادرة على تدبر أمورها وربما لن تفعل ذلك أبداً. وفي ماعدا الإصابة في عمودها الفقري، كانت صحتها جيِّدة وهي قادرة على أن تعيش أربعين سنة أخرى.

قال لها جون: «ربما حان الوقت لإيجاد نمط عيش آخر لأمك».

هزت هيثر رأسها. ستبقى مع أمها، فليس لها أحد سواها.

# ٧ - نهر الخوف

توقف هنتر في فسحة بجانب الجدول، وما لبثت أن تأججت النار لتلطف المناخ. لقد خفّ المطر من دون أن يتوقف نهائياً. وبعد تناول عشاء مبكر، تحلّق الجميع حول النيران يحتسون القهوة ويتسامرون.

لم تشارك هيثر في الحديث إلا نادراً. فقد كانت تفكر في ما قاله جون عن وجود فرصة أخرى. أما من حلٍّ؟ لطالما كانت سوزان تقول إنّ خطب إميليا الوحيد هو اتكالها على هيثر. في البداية لم يكن الاعتناء بأمها يزعجها، إلا أنها أصبحت ضجرة من الوضع مؤخراً. كانت لا تزال شابة، وتريد الزواج وبناء عائلة. ولكن، أنى لها أن تفعل ذلك مع أم متطلبة؟ كانت هيثر سعيدة برعاية أمها، إنما هل كانت أمها تستغلها؟

حين تفكر في الأعوام التي مضت، ترى أن أمها لم تشجعها قط على مواعدة أيّ شخص، أو إيجاد رفيق. وحين كانت هيثر تخرج مع أحدهم لتتسلّ كانت أمها تصر على أن تعود إلى المنزل قبل أن تخلد إلى النوم.

وتساءلت هيثر إن كانت أمها تتدبر أمرها خلال هذا الأسبوع. أغلب الظن أن العمّة سوزان لا تفعل الكثير من أجلها. فهل تأقلمت أمها مع الوضع أم أنها تمر بأفظع الأوقات في غياب هيثر؟

تمنت لو تستطيع استعارة هاتف هنتر الخلوي للاتصال بعمتها والتحقق من الأمر.

قفزت من مكانها، ماسحة الغبار عن سروالها وحدّقت إلى الرجال الذين استداروا للنظر إليها حين وقفت: «سأذهب في نزهة».

قال بيتر: «لقد سرنا طوال النهار».



-أعلم ذلك لكني سأتسلى وأنا أمشي من دون الحمل الثقيل. ثمة نور خفيف يتسلل من بين الغيوم، وأودّ أن أتأمل مشهد الغروب.

استدارت ومشت على ضفاف الجدول ببطء، وهي تتأمل أشعّة الشمس الضعيفة، التي تسللت بخجل من بين الغيوم.

سألها هنتر من خلفها: «هل أنت بخير؟».

استدارت. لم يعودا قريبين من نار المخيم. أما ضوء النهار فراح يتلاشى شيئاً فشيئاً.

- لا بأس، شكراً!

قال لها: «نعم، أنا أيضاً أظن هذا».

اضطربت لكلامه، فيما أضاف: «ما كنت اعتقد أنك ستكملين المسير إلى هذه المرحلة حين رأيتك قرب المسكن».

وسار متمهلاً على ضفة الجدول، فتبعته هيثر، لبضع خطوات قائلة: «قد أخبرتك أنني سأفعل».

هز برأسه، فسارعت إلى القول: «ستقوم «جاكسون أند برينس» بعمل جيّد لصالح «ترايلزوست»».

- ربما.

- لدينا حملة إعلانية جيدة و...

عندئذ، توقف واستدار نحوها: «لا أريد التكلم، هيثر. استمتعي بالمنظر وحسب. لطالما اعتقدت أنّ علينا الذهاب في نزهات. لطالما أملت أن أمضي العطلة ذاك الصيف معك، لكنك رحلت. كنت يوماً كل ما يتمناه رجل من امرأة».

وقبل أن تتمكن هيثر من التفوه بكلمة، انحنى هنتر وعانقها بحرارة. ضمها بين ذراعيه فأحسّت بأضلعه القوية تسحقها بعذوبة شغف. شعرت بالدفء ينبعث من أعماق أعماقها ويلف كيانها. كان عناقاً حاراً متطلباً فأتى التجاوب بالمستوى نفسه.

كانت هيثر أسيرة الأحاسيس التي ولّدها فيها هنتر. كان شعوراً

منعشاً، رائعاً ومثيراً. فعناقه حار، ملح أيقظ مشاعر دفينة منذ زمن. هذا العناق أثار فيها أحاسيس لم تعرفها منذ عشر سنوات.

لم تجد إلا التجاوب سبيلاً لسد جوع دفين في أعماق كيانها. فدنت منه أكثر.

كان عناقهما أشبه بمجموعة من الأنغام تتآلف في سمفونية عشق رائعة.

اشتدت ذراعاه حولها فيما تاهت أصابعها بين خصلات شعره. وعاودتها ذكرى الماضي والتهبت أحاسيسها، فدخلت إلى عالم جديد مليء بالبهجة والذكريات.

كيف استطاعت يوماً ترك هذا الرجل؟ كيف استطاعت العيش من دونه؟.

همست: «هنتر؟».

السنوات العشر التي فرقتهما اختفت في لحظة واحدة. شعرت وكأنهما لا يزالان زوجين حبيبين وحيدين على كوكب الأرض.

صوتها وضع حداً لحفلة الجنون، فتراجع ببطء وبأنفاس متقطعة. دفعها عنه بحزم فيما التمعت عيناه في الضوء الخافت، ثم قال بصوت مرتعش: «لن ينفع هذا. عودي إلى المخيَّم».

واستدار فجأة عائداً باتجاه الضوء.

وقفت ترتعش وراحت تراقبه غير مصدقة وهو يبتعد. بالكاد استطاعت أن تركز على السير. يا لها من غبيَّة! أخذت تراقبه للحظات طوال، آملة أن يعود أدراجه.

قفلت عائدة إلى المخيم والخيمة التي سبق أن ارتفعت معترفة بهزيمتها. كانت تتألم من الشوق، وتشعر بشوق مضاعف وحزن بعد ما اختبرته من شغف في عناقهما. لقد أحبته كما لم تحب أحداً من قبل، وكانت تريده كامرأة أكثر من أي شيء آخر.

كانت تعلم أن لحضورها تأثير فيه، فقد عانقها مرات عدّة. فعاشت



لحظات من السعادة المسروقة من الجنة. هل سيمنح حبهما فرصة ثانية؟ هل سيفكر حتى في فرصة أخرى، حيث يبذلان ما بوسعهما قبل فوات الأوان؟.

ماذا يمكنها أن تفعل ليرى أنها نضجت وتغيرت؟ ولأول مرّة، خلال عقد كامل تضع هيثر نفسها في المرتبة الأولى. فهي قد تتخلى عن عملها ومنزلها، وعن أيّ شيء في حال طلب منها هنتر العودة معه إلى دنفر.

أذهلتها أفكارها وحاولت أن توضح الصورة وهي تستعد للنوم.

هل من شيء تستطيع فعله لتشجع هنتر على المحاولة من جديد؟

لكن وقبل أن تحصل على الجواب كان النعاس قد دبَّ فيها فنامت في خيمة لا تتسع إلا لشخصين فقط.

* * *

عندما صحت هيثر في صباح اليوم التالي، كانت لا تزال وحيدة في الخيمة. فهل أوى هنتر إلى الفراش متأخراً وصحا باكراً؟ أم أنه نام في مكان آخر الليلة؟

ارتدت هيثر ملابسها بسرعة وتوجهت إلى المخيَّم. كانت تشعر بالاضطراب وهي تغادر الخيمة، إذ لم تنسَ الليلة الماضية وما شعرت به حين عانقها.

كانت تأمل ألا تفضح ملامحها الاضطراب الذي يختلج في نفسها، فتوجهت نحو النار بشجاعة وجلست. كان جون وهنتر يحتسيان القهوة. أما بيتر فلم تجد له أثراً. القت هيثر تحية الصباح عليهما وسكبت فنجاناً من القهوة الساخنة. لاحظت أن هنتر يتفادى النظر إليها بشكل مباشر. حسناً، إذا أراد تجاهلها، فلا بأس. إلا أن الفكرة أدمت قلبها، فذكرى بركان الشغف الذي تفجّر في الأمس بعثت فيها الدفء حتى وهي تجلس على الحصيرة الصغيرة. لذة الذكرى لن تمحوها الأيام القادمة وستبقى تفكر في تلك الرحلة وربيع الحب الذي أزهر من جديد.

الحب! لقد وقعت في حب هنتر مجدداً. لطالما كانت مغرمة به حتى لو

حاولت أن تنكر ذلك مراراً. أجل، لقد حاولت أن تتابع حياتها كما اختارت منذ زمن بعيد.

نظرت إليه وكلها أمل في أن يقع في حبّها، إلا أن تصرفات الناس ومشاعرهم ليست رهناً بما يبتغيه الآخرون. ولم يراودها الشك لحظة في أنه ما إن يصل إلى دنفر، حتى ينسى هنتر العناق الخاطف ويعود إلى حياته من دونها.

كادوا ينتهون من طعام الفطور حين انضم بيتر إليهم. وما إن أنهت هيثر فطورها حتى قررت أن تتخلى عن أحلامها التافهة. ستعامل هنتر بأكبر قدر ممكن من الرسمية، وتأمل أن تمر الأيام المتبقية بأسرع ما يمكن. ستحاول أن تعامله كما لو أنها لم تلتقِه يوماً قبل الرحلة.

وتذكرت حرارة عناق الرجل. هل تراه يعانقها من جديد؟ هل سيعانقها بدافع الحب وليس الغضب؟ وأغمضت عينيها تتذكر قوة ذراعيه، وصلابة صدره حين ضمها إليه بقوة، ونبرة صوته العميقة.

أيقظها هنتر من أحلامها حين سأل: «هل أنت بخير؟».

فتحت عينيها، وركزت على كلامه. هزت رأسها وردّت: «أنا بخير، سوف أوضب أغراضي وأستعد للانطلاق».

وانسحبت من جانب النار قبل أن تفعل ما قد يحرجهما معاً.

راقبها هنتر وهي تدخل خيمتهما الصغيرة، الخيمة التي خرج منها قبل بزوغ الفجر هرباً من عطر المرأة النائمة بقربه. لطالما كانت رائحتها أشبه بعطر إحدى الأزهار البرية، عطراً خفيفاً ناعماً. لم يتمكن من النوم الليلة الماضية فيما أحلام عناقهما لا تفارق مخيلته. لقد اجتاحته رغبة في ضمها بين ذراعيه ومعانقتها والتعبير لها عن حبه حتى حلول الفجر.

لكنه تقلب في فراشه حتى استفاق قبل طلوع النهار وخرج لإشعال النار. ولم تنجح أكواب القهوة التي احتساها في تهدئة الغليان الذي يشعر به. تمنى لو لم تأتِ إلى الرحلة.

أم أنه تمنى العكس؟ لقد تابع حياته بعد رحيلها. أسس حياةً خاصة



به وقلما كان يفكر في هيثر في تلك الأيام، إلا أن طيفها لم يهجر مخيلته كلياً. كانت ضحكتها تملأ عليه وحدته. وحين يكون منهكاً، يتذكر لياليهما معاً. صعب عليه متابعة حياته من دونها، فلطالما اعتقد أنهما لن يفترقا يوماً.

أما اليوم، فلا يجمعهما سوى العمل، هذا في حال اختار «جاكسون اند برينس» كوكالة لإعلانات الشركة في سياتل. فهل سيكون غبياً إلى حد أن يفعل ذلك؟ أيعيد إشعال ما انطفأ منذ زمن؟ لقد اختارت عائلة أخرى، وحياة أخرى. سيكون غبياً لو مَنّى النفس بتجديد العلاقة وتغيير ما حصل.

لكنه لا يزال يريدها.

قال بيتر، مقاطعاً أفكار هنتر: «يبدو الطقس جيداً».

- السماء صافية، وهذا مؤشر جيّد. المشاهد التي سنراها ستكون الأجمل.

بعد يومين سيعودون إلى المسكن ويذهب كل منهم في طريقه. وكان يعدُّ الساعات بانتظار العودة.

قال جون: «غداً آخر يوم. كانت رحلة موفقة يا هنتر. حتى لو لم نحصل على المشروع، فقد سررت بالمشاركة في الرِّحلة».

سأله بيتر: «هل ستعلن الفائز بالمشروع عند عودتنا إلى حيث ركنا سياراتنا أم أنك ستنتظر حتى صباح الإثنين؟ إن كنت ستمضي عطلة نهاية الأسبوع في سياتل فنحن نرحب بك في مجمّع الشركة السكني الذي نخصصه للزوار من زبائن وأصدقاء».

فرد هنتر: «الآن هو من سيعلن الفائز بالمشروع، أما أنا فسأعود إلى دياري ما إن تنتهي الرحلة».

استطاعت هيثر أن تستمع إلى الحديث من داخل الخيمة، وقد سمعت كلام هنتر بوضوح. فهل تعمّد رفع صوته ليتأكد من أنها على علم بأنه ينتظر العودة إلى دنفر بفارغ الصبر؟

حاولت ألا تتأثر بالموضوع، لكنها ما لبثت أن شعرت بحاجة إلى البكاء. كانا مغرمين جداً ببعضهما البعض، وواثقين من أن مستقبلهما سيكون رائعاً. ولم تمضِ سوى بضعة أشهر حتى رحلت.

جلست على أرض الخيمة، تتكىء إلى حقيبتها محاولة التفكير. ماذا لو وجدت عملاً لها في دنفر؟ ماذا لو استطاعت الحصول على من يساعد أمها؟ هل سيفكر هنتر في العيش معها مجدداً إذا ما أعادت تنظيم حياتها؟ أم أن الأوان فات منذ زمن؟.

ولمَ يساعدها؟ لقد أخلت بالوعد الذي قطعته وانفصلت عن زوجها. فهل تَراه يثق بها من جديد؟ لكن أوضاعهما مختلفة الآن، فهي لديها وظيفة وخبرة كما أنها بارعة في التسويق ما يخولها الحصول على عمل.

إلا أنه لن يكون كالمنصب الذي تشغله الآن. وكيفما قلّبت الموضوع، لم تستطع أن تقترح عليه أن يعودا لرؤية بعضهما، فاقتراحها يشتم منه رائحة المصلحة الذاتية خصوصاً بعد أن نجح في حياته وحقق أحلامه. وهي لن تدعه مطلقاً يظن أنها تعود إليه من أجل ماله.

رفع هنتر غطاء الخيمة ونظر إليها قائلاً: «أأنت مستعدة للذهاب؟ أريد تفكيك الخيمة».

- جاهزة.

سحبت حقيبتها إلى الخارج وقبل أن يتسنى لها العودة لمساعدته كان هنتر قد فك الخيمة. وفي لحظات، أحكم ربطها بحقيبته. فسار كلٌّ منهم وحيداً بهدوء في صمت الطبيعة. حتى بيتر توقّف عن الكلام وكأنه نفد منه، وكانت هيثر ممتنة لذلك. فهي لم تكن لتحتمل صوته يطن في أذنيها طيلة الطريق.

كانت المناظر رائعة تماماً كما توقعوا. امتدت أمامهم مساحات واسعة ومشاهد رائعة من جبال شامخة مغطاة بالأشجار تكاد قممها تداعب زرقة السماء. كما رأت المجموعة عند مرورها بمرج أخضر قطيعاً من الغزلان، فتسمرّت مكانها للحظات طوال تستمتع بمراقبة الحيوانات



ترعى، وترفع رأسها من حين إلى آخر تحسباً لأي خطر.

انسلَّ هنتر إلى جانب هيثر وفتح الجيب الخارجي لحقيبتها وسحب الكاميرا قائلاً برقة: «أظنك تحتاجين هذه».

هزت برأسها متأثرة بمجيئه من دون سؤال والتقطت صوراً عدَّة للحيوانات الجميلة قبل أن ينطلقوا مجدداً.

سأله بيتر مازحاً: «كيف تفعل هذا؟».

فأجابه هنتر بدوره: «مجرّد جزء من الخدمات التي تقدمها «ترايلزوست».

سألها جون: «ماذا تنوين أن تفعلي بكل هذه الصور التي تلتقطينها، هيثر؟».

أجابت وهي ترمق هنتر بنظرة تحدي: «سأستعملها لإعلانات «ترايلزوست»، فما من شيء يضاهي التجربة الحقيقية، أليس كذلك؟».

لم يعلّق بل استدار ومشى من جديد.

لم تتوقع منه أن يؤكد أو ينفي حظوظ وكالتها بنيل المشروع، إلا أنها أرادت أن تعلمه باستمرارية مشاركتها في المسابقة. وأملت ألاّ يصرف النظر عن إمكانية نيلها المشروع بسبب ماضيهما معاً، وأن يكون عادلاً بما يكفي بغض النظر عن الناحية الشخصية.

وما إن انقضت فترة بعد الظهر حتى اكفهرّت السماء وتعالى صوت الرعد من بعيد.

قال بيتر متبرماً: «يبدو أنها ستمطر من جديد».

فأجابه هنتر: «أعتقد أنها ستمطر شرقاً».

أملت هيثر ألا تمطر مجدداً فقد أرادت أن تنتهي من هذه الرحلة.

لم تمطر السماء مع مرور الوقت إلا أنها بقيت ملبدة بالغيوم السوداء. ولمع البرق من جهة الشرق، فيما سمع صوت الرعد خافتاً.

وصلوا إلى آخر جدول عليهم أن يعبروه قبل التوقف لأخذ استراحة. كانت الضفة أعلى من مستوى المياه، وقد امتد جسر فوق المجرى.

كانت المياه تتدفق تحت الجسر، غزيرة من جراء هطول الأمطار. وهبَّت الرياح من الشرق فحملت قطرات المياه ونثرتها في الهواء. توقف هنتر بجانب الجسر متفحصاً المياه، دارساً إمكانية العبور بطريقة مختلفة.

سأله بيتر وهو يدنو منه: «هل من مشكلة؟».

- الضفة موحلة وزلقة بفعل المطر، والمياه تتدفق بغزارة بسبب العاصفة ولست واثقاً من أنّ الجسر آمن.

فقال بيتر: «يبدو متيناً بما يكفي».

هز جون رأسه: «بل يبدو كأنه سينهار إذا ما هطل القليل من الأمطار بعد».

فأجابه بيتر: «لكنها لا تمطر هنا، سأعبر أنا أولاً إذا أردتم. أنا واثق من أنه غير خطر».

تدخل هنتر قائلاً: «مهلاً، لحظة».

ومن ثم توجَّه إلى طرف الجسر ووطئه بقدمه وخرج. لم يكن الجسر سوى لوح قليل العرض يمتد من ضفة إلى أخرى. والمياه المزبدة في الأسفل كانت من العمق بحيث يصعب عبورها حتى من دون أن تزيد الأمطار المتساقطة منسوبها. لكن ما من طريقة أسهل للعبور وإن لم يسلكوا هذه الطريق فسيضطرون إلى إيجاد أخرى بعيداً عن المسار المرسوم.

قال بيتر: «أقول إنّ علينا العبور».

فأجاب جون: «الكلمة الفصل لهنتر».

فما كان منه إلاّ أن سألها: «ما رأيك؟».

- القرار يعود لك أنت.

بالكاد ابتسم ونظر مجدداً إلى المياه قائلاً: «حسناً سنعبر لكننا سنأخذ بعض الاحتياطات فمن يسقط في النهر يجرفه التيار. جون، أنت تحمل حبلاً وأنا كذلك. سنمد الحبل من شخص إلى الآخر».

- موافقون.



وفي غضون دقائق، ربط هنتر طرف الحبل إلى جذع شجرة متين من جهة وبالجسر من جهة أخرى، فيما الرياح المتقلبة تبلل اللوح بالرذاذ.

- جون ستعبر أنت أولاً، وستربط نفسك بإحدى الشجرات على الضفة المقابلة. سيتبعك كلٌّ من بيتر وهيثر وسأكون أنا آخر من يعبر. تقع نقطة التخييم على بعد ميلين تقريباً من هذا النهر حيث سنمضي الليلة الأخيرة.

- حسناً.

وربط جون الحبل حول خصره ولف جزءاً منه ليحمله إلى الضفة الأخرى، ثم سلّم الطرف الآخر لبيتر، قائلاً: «اربطه جيداً بما يكفي لأتمكن من العبور بأمان».

كرر هنتر الخطوة ذاتها، فربط طرف الحبل حول خصره من جهة وحول الشجرة من الجهة الثانية. وبعد أن عبر مسافة قصيرة ربط الطرف الآخر حول خصر هيثر.

- حالما تصلين إلى الجهة المقابلة، دعي جون يفك الحبل ويربطه بالشجرة. فوزنك لن يكفي لحملي إذا وقعت ولا أريد سحبك معي. سأنتظر حتى تصلا بأمان وتربطان الحبل إلى الشجرة لأعبر، مفهوم؟

سألته: «ستجري الأمور على خير ما يرام، أليس كذلك؟».

فهيثر تثق بهنتر كلياً، إلا أن اللوح المبلل بدا هشاً وغير متين فوق المياه المتدفقة.

- ستكونين بخير. اتبعي جون وبيتر وستصلين بأسرع مما تتوقعين.

حاولت الإصغاء إليه، إلا أنها لم تكن تعي سوى لمسة يديه على خصرها، والإحساس الذي يثيره فيها.

نظرت إليه عن كثب فلاحظت أنّ ذقنه تبدو مغرية. كما بدا واثقاً وكفوءاً فأدركت أنها تستطيع الوثوق به كلياً. وبعد أن تأكد من متانة العقدة، تناول حقيبته.

- حين تصلين، أربطي الحبل إلى الشجرة وسأقوم أنا بفكه من هذه

الشجرة. لكنه في الوقت الحالي سيحملنا معاً في حال حدث أي مكروه.

هزت رأسها، غير متشجعة للعبور فوق الجسر المتأرجح، إلا أن جون وبيتر لم يعترضا البتة ولن تفعل هي.

- ستكونين بأمان فليس أمامنا حل آخر.

ارتسمت ابتسامة مترددة على شفتيها، وحوّلت نظرها إلى المياه المتدفقة في الأسفل ما جعلها تتسمّر في مكانها، غير قادرة على إشاحة نظرها. كم ستكون المياه باردة؟ وكم هي سرعتها؟

وأخذت تراقب هنتر وهو يربط الحبل حول شجرة صنوبر ثم التفتت إلى جون لتراه يفك طرف الحبل. حمل حقيبته على كتفيه وأمسك بالحبل بيده حتى وطىء أرض الضفة المقابلة. بدت خطوته واثقة وحثيثة ومتمهلة، فحاولت هيثر تذكرها لتتبعها.

وفي غضون دقائق وصل إلى الضفة الأخرى. وانطلق بيتر حين ربط الحبل جيداً. وعندما وصل بدوره إلى الجهة المقابلة بأمان، فك هنتر الحبل الذي يربطهما معاً. وقال لهيثر: «لقد حان دورك».

توجهت إلى حافة الجسر. كان الوضع أسوأ مما توقعت لكنها لا تستطيع أن تمكث طويلاً في مكانها. لم يواجه جون وبيتر أي صعوبات، وهي بدورها ستعبر إلى الجهة المقابلة في أقل من دقيقة.

خطت الخطوة الأولى، فأحسّت باللوح ناعماً وزلقاً نوعاً ما. حاولت أن تسير على خطوات بيتر وجون، وحين ظنت أنها نجحت بعد أن اجتازت ثلثي المسافة، تأرجح اللوح وفقدت توازنها. وفي لحظات، وجدت نفسها في المياه الجليدية المتدفقة.

ارتطم كتفها بصخرة مغمورة بالمياه، وأخذ السيل يدور بها، يسحبها إلى القعر ويعود فيرفعها إلى الأعلى. شعرت للحظة بالألم يطغى على صدمة وقوعها في المياه الجليدية، إلا أن البرد ما لبث أن قطع أنفاسها. غطت المياه وجهها، وجرتها إلى الأسفل فيما الحبل يشد على خصرها يكاد يقطعها إلى نصفين.



حاولت أن تستدير وترفع وجهها إلى سطح المياه، لكن حقيبتها علقت بشيء ما تحت المياه. ناضلت مذعورة علّها تطفو وتلتقط أنفاسها، ولكن عبثاً فقد عجزت عن الحراك أو التنفس! أخذت تتخبط محاولة أن تفلت من قبضة مياه النهر الجارفة، لكنها أحست بكتفها تحترق وبرئتيها تنفجران.

وانحسرت المياه للحظة، فشهقت علها تتنشق بعض الهواء ليمتلئ فمها بالمياه التي ما لبثت أن غمرتها من جديد. وشعرت أنها تختنق ما أرعبها. فهل ستغرق في المياه الجارفة لنهر لا تعرف اسمه حتى، وتموت في غابة لا علاقة لها بها؟

عادت المياه تنحسر للحظة، فتنفست ملء رئتيها، ما أعطاها بعض القوة. عليها أن تفعل شيئاً وحالاً وإلا ستتجمد حتى الموت أو تغرق!.

كانت المياه باردة كالجليد! حاولت الانقلاب على أحد جانبيها لكن الحقيبة منعتها من ذلك. إلاّ أنها تابعت محاولة إنقاذ نفسها.

وتمكّنت يدان قويتان من الوصول إليها وإمساكها ورفعها إلى سطح المياه. شعرت بقوة تسحب حقيبتها وتحررها. كان وجهها فوق المياه ما مكّنها من التنفّس.

- اهدئي هيثر، سوف تنجحين حبيبتي، تمسكي فقط. التيار قوي لكننا سنصل إلى الضفة فتمسكي جيداً.

هذا هنتر، إنه معها في المياه، يمسك ذراعها بيدين قويتين صلبتين تهدئان من روعها. استدارت محاولة التوجه إلى الضفة وقد زال رعبها. يمكنها أن تصل إلى شط الأمان! لقد أخذ حقيبتها لتتمكن من التحرك بشكل أسرع، إلا أن ألم كتفها منعها من تحريك يدها اليسرى كما ساهم سروال الجينز والحذاء الثقيل في إعاقة حركتها. شعرت أنها عاجزة عن الحراك وهي تتمسك بهنتر، تناضل للوصول إلى البر.

ووصلا إلى الضفة، من دون أن يتركها. كان صعود المنحدر الموحل صعباً، فهما على عمق اثني عشر قدماً. انزلق هنتر على المنحدر مرتين إلا

أنه وصل إلى القمة في الثالثة. وقد توزعت مهمته بين سحبها ومساعدتها حتى ابتعدا عن مياه النهر الباردة ووصلا إلى الأرض الصلبة.

استلقت هيثر على الأرض تتنفس الصعداء، فسحبها هنتر بين ذراعيه وضمها إليه بقوّة. تعلقت هيثر به تستمتع بدفء حضنه، ونشوة قربه منها. أتراها ماتت وانتقلت إلى الجنة؟

ارتعشت من البرد على الرغم من حرارة جسم هنتر فتراجع ما إن شعر بارتعاشها.

ناداهما جون من الضفة المقابلة: «هل أنتما بخير؟».

فأجابه هنتر بصوت مرتفع: «سنكون كذلك ما إن نخلع ثيابنا المبللة ونرتدي أخرى جافة».

تنشّقت هيثر المزيد من الهواء. لكم كان رائعاً أن تتنفس من جديد!

قال لها: «هيا هيثر، لسنا بمأمن بعد».

وساعدها على الوقوف على قدميها، ممسكاً بحقيبتها.

قالت وهي ترتجف برداً: «لا أصدق أننا ما زلنا أحياء».

كان كتفها يؤلمها جداً لكنها مازالت حيّة على الأقل.

- لهذا استعملنا حبل الأمان. لابدّ أنّ أغراضك مبللة، لكنني نزعت حقيبتي قبل أن أقفز وراءك، وسآتيك ببعض الملابس الجافة.

- هل قفزت خلفي؟

كانت بالكاد قادرة على التكلم من شدة اصطكاك أسنانها، إلا أن الفكرة صدمتها. وأردفت: «كان يمكن أن تقتل».

- وأنت أيضاً. هل ظننت أنني سأسمح بهذا؟

- اعتقدت أنك ستسحبني بالحبل.

- لم يكن هذا ممكناً مع هكذا تيار، كما أن حقيبتك كانت عالقة تحت إحدى الصخور.

لقد خاطر بحياته لإنقاذها، ما أذهلها.

- كدت تقتل نفسك. لم يكن عليك اللحاق بي إلى تلك المياه الباردة.



- بل كان عليّ ذلك.

فكرت هيثر في معنى هذا التصرف، إلا أنها لم تستطع التركيز وقالت وهي ترتجف: «أشعر بالبرد».

- أعلم وأنا كذلك. علينا أن نجفف أنفسنا وأن نتدفأ. فهل ستساعدينني؟

كانت غاية في الحذر إلى حد أنها بالكاد تحرّكت. كان ذهنها بليداً، وبدا أدنى جهد تبذله جباراً. فاستوت، غير قادرة على تحريك أصابعها. وكل ما استطاعت فعله هو الارتجاف والتنفس.

- هيا هيثر، تحتاجين لبعض الدفء. اخلعي هذه الثياب المبللة فسأحضر لك بعض الملابس من حقيبتي.

وقفل عائداً إلى حقيبته. شرعت تتبعه، فتخطو خطوات بائسة تبعث في كتفها موجات من الألم.

قالت وهي تصرّ أسنانها: «لقد تأذى كتفي فعلاً».

أثار كلامها انتباهه فوراً فسأل: «إلى أي حدٍّ؟».

- إلى حد أنه يؤلمني للغاية.

- سوف أتحقق من ذلك ما إن تبدلي ملابسك.

ومشيا ببطء نحو الحقيبة.

- سأنصب خيمة لتتمتعي بالخصوصيّة.

كان كل من جون وبيتر في الجهة المقابلة يراقبان، فصاح لهما يشرح ما ينويان فعله.

وارتعشت مجدداً تتساءل عما إذا كانت ستشعر بالدفء من جديد، فحتى ألم كتفها كان يضعف مع تسلل التعب والنعاس إليها.

قال هنتر ما إن ارتفعت الخيمة: «هيا، إنك تعانين من انخفاض غير طبيعي في حرارة الجسم».

وجرها خلفه ساحباً حقيبته. وبعد لحظات، سحب منها سترة قطنيّة. لم يستغرق خلع السترة والسروال سوى لحظات، عمد بعدها إلى لفها



www.elromancia.com

بسترته القطنية، ثم تفحّص كتفها وهو يغطيها.

سألها: «إن الجرح عميق، فهل هو مخلوع؟».

واستدارت منقبضة وردّت: «لا أعتقد ذلك، لكنه يؤلمني كثيراً».

كانت لا تزال ترتجف بقوة فيما كان الهواء يزيد من ارتعاشها.

- انزعي عنك ملابسك كلها. سترتدين سروالي الجينز، مقاسه كبير لكنه دافىء على الأقل.

- ماذا عنك، فأنت أيضاً تشعر بالبرد.

- لقد سبق أن بدلت ملابسي.

نظرت إليه فلاحظت أنه خلع سترته وحذاءه، وسروال الجينز ليرتدي غيرها بينما هي بالكاد تستطيع الحراك. أخذت تنزع سروالها المبلل بجهد وبطء لكنها تعثرت بوجود الحذاء فسارع هنتر إلى مد يد العون وساعدها في خلع الحذاء والجوارب المبللة.

أخذ يتحدث إليها بصوت ناعم هادىء فحاولت التركيز على كلماته إلا أن أصابعها لم تتجاوب مع محاولاتها. شعرت أنها خرقاء، إذ أرادت أن تفعل ما يقول، لكنها لم تستطع أن تتحرك.

- هيا سأساعدك.

وجلب منشفة كبيرة ناولها إياها لتجفف شعرها فيما بقي جسمها داخل الفراش.

وما إن بدأ الدفء يتسلل إليها تدريجياً حتى ظهرت الآلام المختلفة الناتجة عن شد الحبل على خصرها، وارتطام وركها وكتفها بالصخور. ملأت الدموع عينيها فأمرتها بألا تنهمر. إنها في مأمن الآن. لقد بللتها المياه كلياً وأخافتها، لكنها كانت بأمان بفضل هنتر.

قال لها متحسساً كتفها برقة: «دعيني أتفحّصه».

عذّبتها لمسته، فأخذت نفساً عميقاً حاداً وانهمرت الدموع رغماً عنها. كان كتفها يردد صدى دقات قلبها، والألم ينتابها مع كل لمسة، حتى سترة القطن كانت تسبب لها الألم.



نظر إليها ثم شتم بصوت خافت وقال: «أعلم أن هذا مؤلم لكن عليّ أن أتأكد من مدى سوء الجرح. بعدئذ، سأحرص على الاتصال وطلب المساعدة. اصمدي».

كان صوته دافئاً قوياً، وتذكرت كيف تحدث إليها في النهر. إنه شخص تستطيع الوثوق به والاعتماد عليه. كان عليها أن تدرك ذلك منذ سنوات وتحاول أن تنقذ ما بينهما على الرغم من الحادث الذي غيّر حياتها. لكنها كانت خائفة جداً من أن تخسر أمها بعد أن خسرت أبيها، خائفة من أن تقف عقبة في درب هنتر الذي يسعى إلى عدم تكرار تجربة والده. كانت خائفة من عدم قدرتها على النجاح.

## ٨ - لن أقول وداعاً

تورّم كتفها وظهرت عليه ندبة سوداء، ومالت برأسها إلى الخلف لترى ما إذا كان بإمكانها رؤيته.

قال لها وهو يرفع القميص ليغطي كتفها: «لون الكدمة يميل إلى السواد. لكنني لا أعتقد أنه مخلوع».

- ليس مخلوعاً، سأتحسن قريباً. لا تتصل بأحد، سأتدبر أمري.

وحدقت إليه وهي تعي البرد والألم والمشكلة الخطيرة التي يشكلها قربها منه إلى هذا الحد. كان يجدر بها أن تقلق على جرحها إلا أن اهتمامها الوحيد انصب على عدم ترك الرحلة قبل دقيقة واحدة من الوقت المحدد. فقد تكون المرّة الأخيرة التي ترى فيها هنتر برادوك.

- ما زال علينا أن نهتم بشأن إنخفاض حرارة جسمك. وحين تجفين وتشعرين بالدفء سأفحص الكدمة مجدداً؛ اتفقنا؟.

كلامه أشعرها وكأن كل شيء سيكون على خير ما يرام. فهزت برأسها محاولة أن تشعر بالدفء.

- انتظري للحظة! سأساعدك.

وفتح كيس النوم بما يكفي ليتسلل إلى داخله، ويضمها بين ذراعيه.

قال: «حرارة جسمي ستبعث فيك الدفء بشكل أسرع».

وضمها بين ذراعيه برقة، يقربها إلى حرارة جسمه.

أسند ذقنه إلى قمة رأسها، ما جعلها تشعر بدفء عارم وتعي الوضع الذي هي فيه. فمنذ لحظة كانت تتجمّد وها أنّ الحرارة تدبّ في جسمها أسرع مما توقّعت، حتى أنها أحست أنها تريد أن تنزع الأغطية عنها



لتحصل على بعض الهواء. لم تكن تشعر بارتفاع حرارة جسمها تدريجياً وحسب بل أدركت وضعها الحميم مع هنتر. فقلبه كان ينبض بقوة في أذنها، وذراعاه تضمانها كما في الماضي. كانت تستطيع أن تشتم الرائحة الفريدة للرجل الذي أحبت والذي لا تزال تحب حتى اليوم. أخذت نفساً عميقاً لتستنشق رائحته وتحتفظ بها لسنوات طويلة مقبلة لن يكونا فيها معاً.

لم تخطط منذ عشر سنوات لتركه، ولهذا لم تحتفظ بذكريات تختزنها ككنز. بقيت الأيام السعيدة ذكرى مريرة لما كان يمكن أن يحصل. أما الآن فهي تعلم ما ينتظرها فأرادت أن تحتفظ بذكريات للأيام المقبلة. مرّر أصابعه بين خصلات شعرها وقال: «إنه جاف تقريباً».

وراحت يداه تدلكان رأسها فأغمضت هيثر عينيها تستمتع بإحساس أنامله تدعك الخصل اللامعة برقة ومن دون توقف.

وكادت تغفو لكنها هزت رأسها. حان الوقت لإنهاء هذا فسألت: «ماذا عن الآخرين؟».

- لقد تمكّنا من العبور، هل تشعرين بما يكفي من الدفء لتحاولي من جديد؟ ماذا عن كتفك؟.

سألته: «وهل أملك خياراً آخر؟ لقد قلت إنّ علينا العبور وإلّا سنضطر لأن نعود أدراجنا ونسير أياماً عدة».

- إن كنت تستطيعين العبور، فسأطلب من جون وبيتر أن يضرما النار، لتبقي دافئة. كنا سنتوقف على أي حال. وقد نخيم الليلة على الضفة الأخرى، وإذا ما استطعت السَّير فسنعود إلى الديار في الصباح.

- سأتدبر أمري، فقدماي لا تؤلماني بل كتفي. كما لا أريدك أن تتصل بفرقة البحث والإنقاذ.

- لنتطلق إذاً.

وما إن غادرت شرنقة الفراش حتى ارتعشت بسبب الهواء البارد.

قال: «إن حذاء التسلّق مبلل».

- لدي حذاء رياضي في الحقيبة لكنه مبلل أيضاً بالتأكيد.

- كل أغراضك مبللة، لكن بعضها قد يجف الليلة. إلبسي زوجاً آخر من جواربي وحاولي أن تنتعلي حذاءك. وحين تصلين، اخلعيه وضعيه قرب النار ليجف.

نظرت إلى الجسر المتأرجح قائلة: «ما زلت أفترض أنني سأنجح في العبور هذه المرّة».

- لدي خطة أفضل. سأربط الحبل بالشجرة، وأعبر أولاً وأربطه في الجهة المقابلة، ثم أعود إليك بواسطة حبل جون. وهكذا، ستتمسكين بحبلين وتعبرين، سأحمل حقيبة في كل رحلة.

شعرت بعجز تام لكنها لم تشأ أن تعترف بذلك فقالت: «يمكنني تدبر أمري».

إلّا أنها لم تتدبر الأمور جيداً منذ عشر سنوات وتستطيع تفهّمه إن لم يصدّقها اليوم.

- الخطة ستنجح. انتعلي حذاءك وحسب.

لم تستمع إليه جيداً فقد كانت أكثر اهتماماً بشعورها بالبرد وبألم كتفها المبرح.

أغمضت عينيها وقد شعرت فجأة بالتعب والإرهاق. إن قال إنّ الأمر سينجح، فهي تصدقه.

عبر بسهولة إلى الضفة الأخرى على الجسر الضيق، وتشاور مع الآخرين. كانت هيثر تراقب بلا مبالاة متمنية لو يخف ألم كتفها وهمست: «وبما أنني أتمنى، سأتمنى أيضاً لو أنني في منزلي أنام في سريري الدافىء الوثير».

وعلى الرغم من خوف هيثر من اجتياز الجسر إلّا أنّ الأمر مرّ بسلام. وانضمّت في غضون دقائق إلى جون وبيتر على الضفة المقابلة، فاضرموا النار ما أشعرها بالدفء وكأنها في الجنة. خلعت حذاءها الرطب وأدنت قدميها من النار، ثم راحت تراقب هنتر يعود للمرة الثانية، تاركاً الحبال



في مكانها، ليستخدمها الفريق الآخر.

ارتعدت وهي تتذكر لحظة سقوطها، وارتطامها بالمياه وعدم قدرتها على التنفس.

نظرت إليه قائلة: «إننا محظوظون لوجود الحبل. أشكرك يا هنتر، لأنك أنقذت حياتي».

- مع هذا ينبغي أن نكون مجهزين.

إلّا أن هنتر لم يكن مجهزاً للعقدة التي شعر بها في معدته من نظرتها إليه. ثمة مثل صيني قديم يقول إنك إذا انقذت شخصاً ما تصبح حياته ملكاً لك؟ وللحظة، أدرك ما يعنيه هذا بالنسبة إليه. سيستعيدها، وستعود معه إلى دنفر، وتبقى معه إلى الأبد.

كان هذا أخطر الأحلام الجامحة التي خطرت له يوماً، واستدار نحو الرجلين يناقش مسألة إقامة الخيم حيث هم.

كانت النيران متأججة، ولن يستغرق تحضير العشاء وقتاً طويلاً تستريح بعده المجموعة لبقية هذا النهار الأخير من الرحلة.

كان قلقاً بشأن كتف هيثر، فقال: «لن تقدر على حمل حقيبتها، هذا مؤكد».

فصاحت من قرب الموقد: «أنا هنا وأسمع ما تقولونه، أستطيع أن أحملها على الكتف السليمة».

ردّ هنتر: «أشك في ذلك».

تدخّل جون قائلاً: «سنقسم الأغراض في ما بيننا».

فأجابت هيثر: «أو نترك الأغراض هنا وآتي لآخذها في ما بعد».

- سنقسم الأغراض في ما بيننا.

علّق هنتر حبلاً بين شجرتين ووضع عليه الثياب المبللة قرب النار المشتعلة ثم نفض فراش النوم الذي كان رطباً بعض الشيء والذي أمل أن يجف مع حلول المساء. لم تبتل الملابس كلها، فالحقيبة المضادة للمياه صمدت طويلاً، كما أن الأغراض كانت مضغوطة بشكل قلل من

إمكانية تسرب المياه إليها وما لبث أن ارتخى الحبل تحت ثقل الملابس.

شرع هنتر يغذّي النار ثم أتى وجلس بقربها.

سألها: «كيف حالك؟».

- أشعر بالدفء ولا أريد التحرك.

كانت عاجزة عن بذل أي جهد يذكر، فهي إما تعاني من الألم وإما من البرد. وجلّ ما أرادته هو المكوث بالقرب من النار على أمل أن تتحسن سريعاً.

سألته: «ماذا سنفعل الآن؟».

- سننصب الخيم كما اتفقنا، وسننعم بليلة من الراحة ونرى كيف ستصبحين غداً. إن كنت تشعرين بتحسُّن فسوف نعود أدراجنا. أما إذا ساءت حالك فسوف يرحل جون وبيتر ويرسلان لنا المساعدة.

عاهدته قائلة: «سوف أعود سيراً على قدمي».

- سنرى حالك غداً.

- سأسير.

وكاد ينفجر ضاحكاً لعنادها، لكنه أشاح بنظره. لا يزال يجد في هيثر الكثير من الصفات الجذابة. كان يستمتع بممازحتها ويهوى أن تكون أول من تراه عيناه في الصباح.

وحين ضمّها بين ذراعيه في الخيمة قرب النهر لتشعر بالدفء، بذل مجهوداً جباراً ليمنع نفسه من معانقتها. كان يريدها بقوة كحاله دوماً، لكنه لا يملك أدنى فكرة عمّا تشعر به هي حيال علاقتهما. هل شعرت بالندم يوماً أم أنها نظّمت أمور حياتها وهي سعيدة بالمسار الذي اتخذته تلك الحياة؟.

سألها: «هل سبق أن شعرت بالندم؟».

أجابته بعفوية: «طيلة الوقت».

- أقصد حيالنا.

ترددت فشعر فجأة أنه لا يريد سماع ما لديها.



- انسي الأمر، سنحاول تدبّر وعاء علّنا نحتسي بعض القهوة مع العشاء وفي الصباح.

ونهض ومشى مبتعداً عنها قبل أن تتمكن من التفوه بأي كلمة. لو أتاح لها فرصة التفكير في الأمر، لما عبّرت له عن الندم كما تمنى أن تشعر به. ومن غير الممكن أن تتمنى أن يعود بهما الزمن إلى الوراء ليتغيّر مجرى الأمور.

أدركت هيثر أنها أضاعت فرصة تصحيح الأمور، رغم أن القدر منحهما فرصة أخرى. كلما فكرت في فتح الموضوع والتحدث إلى هنتر، كانت تضيع الفرصة من يدها. عليها أن تحاول الليلة في الخيمة وللمرة الأخيرة. فبعد ذلك، لن تجد أي فرصة للتحدث إلى هنتر على انفراد بعيداً عن مسامع الباقين، وآخر ما تتمناه هو أن يستمع بيتر إلى حديثهما.

إلا أن هنتر لم يعطها فرصة للتحدّث في الموضوع أثناء السهرة. كان يراعيها ويهتم بها، لكنه بقي بالقرب من النيران حين دخلت إلى خيمتهما. عليهما أن يتقاسما الفراش لأن فراشها لا يزال رطباً جداً. أم لعله ينوي أن يبقى صاحياً طوال الليل ليتفادى البقاء بقربها؟ هذا ما خطر لها وهي تتسلل إلى الفراش وحيدة.

كانت لا تزال تشعر بألم شديد في كتفها فاضطرت إلى الاستلقاء على الجانب الآخر. إلّا أنّ الألم منعها من أن تنام بسرعة، ولم يمضِ وقت طويل حتى شعرت بهنتر ينضم إليها وينام في الفراش قربها. الدفء الذي شعرت به كان أكثر من مرحبٍ به.

واستيقظت لاحقاً وهي تشعر بالبرد والألم. كانت كتفها تؤلمها كثيراً، وقد زادت قسوة الفراش من انزعاجها. حاولت تغيير وضعية نومها لتصطدم بهنتر مباشرة.

كان يغط في نوم عميق فاقتربت منه سعيدة بمصدر الدفء. كانت متعبة إنما مستيقظة تماماً، فالألم لم يخف كما لم تستطع إيجاد وضعية مريحة. حاولت أن تستدير إلى الجانب الآخر ثم تمددت على ظهرها، إنما من دون

جدوى.

كادت تبكي من شدة الألم والانزعاج. جل ما أرادته هو أن تعود إلى النوم، وامتدت إليها يده الدافئة فضمت خصرها وقربتها منه.

- ما الأمر؟

كان صدره صلباً، دافئاً. وشعرت بالراحة لاستنادها إليه.

ردّت بضيق: «لا أجد سبيلاً للراحة».

- هل يزعجك كتفك؟.

هزت برأسها ايجاباً، فسألها: «هل أجلب لك حبوب أسبرين؟ أتريدين بعضاً منها؟».

- قد تساعدني.

وقد ساعدت إنما ليس بالكثير.

وحين تمدد هنتر من جديد، وضع ذراعه تحت رأسها كوسادة، وضمّها إليه باليد الأخرى فاسترخت تشعر بالراحة والأمان.

وفجأة، أزال قرب هنتر أيّ إحساس بالألم. ألا يدرك مدى الأذى الذي يلحقه بأحاسيسها؟

ومدت يدها فتشابكت أصابعهما، واقتربت أكثر فأكثر منه.

- ماذا تفعلين؟.

قالت بأنفاس متقطعة: «أبعد يدك».

صمت للحظة ومن ثم قال: «آسف».

لكنها لم تصدقه، وهمست برقة: «يا لك من شخص مزعج!».

- نامي.

كانت متبرمة، منزعجة ومضطربة لأن موعد العودة إلى ديارها قد اقترب. ستعود إلى الرتابة، إلى والدتها واحتياجاتها.

ظلت مستيقظة تفكر في أمها، كانت واثقة من أنها تتدبر أمرها جيداً في ضيافة سوزان وساول. في الواقع، تبيّن لها أن أمها تتدبر أمورها جيداً حين تكون هي بعيدة عنها، إنما ليس لوقت طويل.



ولِمَ لا؟ لماذا لم تشجع أمها على بذل المزيد من الجهد، والشعور بالاستقلالية؟ أم أنها لم تكن تريد ذلك؟

كانت سوزان تتكلم ومن دون انقطاع عن تعلق اميليا بهيثر لدرجة التضييق عليها كثيراً. وكانت تلح على هيثر كي تكسر الطوق وتتمتع بحياتها، إلا أن هيثر ظلّت تعتقد أن أمها بأمس الحاجة إليها.

أما الآن، فقد أثار البعد بعض التساؤلات حول هذا الاحتمال. في أسوأ الحالات، يمكن لأمها أن تستخدم رفيقاً، أحداً ما ليساعدها في تلبية حاجاتها الخاصة التي لا يمكنها القيام بها بنفسها. ولكن هل يجب أن يكون هذا الشخص هيثر نفسها؟

ماذا لو رحلت، لو انتقلت للعيش في مدينة أخرى كدنفر؟ ثمة عائلة أخرى في سياتل تستطيع تلبية حاجات إميليا ومساعدتها لو احتاجت. وسمحت هيثر لنفسها بأن تحلم بأن هنتر يريد التقرّب منها لأنه يهتم بها فعلاً. كانت تشعر بدفء جسده القوي يسري فيها. وتنهدت بعمق، سعيدة بهذه اللحظات القصيرة. ثم عادت إلى النوم وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة وفي رأسها خطط مبهمة عن مستقبل أكثر إشراقاً.

عندما استيقظت في الصباح، كانت وحيدة في الفراش فجلست وهي تكاد تتأوه من الألم. لبست ثيابها بسرعة وخرجت من الخيمة، لتجد حذاءها أمام الباب مباشرة. كان جافاً ودافئاً فانتعلته وتوجهت نحو النار.

سألها هنتر: «هل نمت جيداً؟».

- أجل، أشكرك، أنا مستعدة للذهاب.

- وكيف حال كتفك؟

- لا بأس.

كان كتفها يؤلمها، لكن جسدها كله يؤلمها أيضاً. أملت أن تتمكّن من أن تخطو خطوة واحدة كما تمنت أن يخفّف التمرين من تشنج عضلاتها. سيصلون إلى نقطة البداية قبل حلول فترة بعد الظهر، كما أوضح هنتر



www.elromancia.com

الليلة الماضية.

عليها طبعاً أن تقود السّيارة إلى سياتل، لكنها تستطيع التوقف عند أحد الفنادق على الطريق لأخذ حمّام ساخن!.

كان يتأملها، فسألته: «ما الأمر؟».

- أحاول تصوُّر المسافة التي ستتمكنين من قطعها.

- المسافة كلها.

رفع أحد حاجبيه قائلاً: «ستكون هذه تجربة جديدة عليك».

احمرّت وجنتاها لملاحظته وردّت: «هنتر، لقد اعتذرت وحاولت أن أشرح. إن لم تكن مستعداً للإصغاء، فتوقف عن إبداء ملاحظاتك المهينة».

فكرر كلامها: «لقد تركتني من أجل مصلحتي».

- أجل.

- لم تثقي بي كفاية لتتخذي القرار عني؟

- طبعاً لا، هذا ليس السبب.

- بل هو كذلك، هيثر. لقد قضيت على فرصتي باتخاذ القرار. تخليت عن زواجنا من دون أن تسأليني رأيي. لا أصدق أنك فعلت ما هو في صالحي، أعتقد أنك اهتممت بمصلحتك أنتِ. وحين وصلت الأزمة إلى أشدها سارعت إلى المنزل، إلى أمك.

- كانت بحاجة إليّ هنتر بعد أن توفي أبي. لقد أمضت سنوات في المستشفيات ومراكز التأهيل.

- ولم أكن على علم بذلك، أليس كذلك؟ قررت أني لست رجلاً بما يكفي لأتولى الأمر فرحلت ولمصلحتي.

- لست رجلاً بما يكفي؟ هل أنت مجنون هنتر؟ لطالما تمتعت بما يكفي من الرجولة. لكنك كنت تجد صعوبة في تدبر أمورك على الصعيد المالي. ونحن لم نكن نملك شيئاً. وكما أخبرتك، اضطررنا لبيع المنزل، ولو لم يساعدنا عمي ساول في الفترة الأخيرة في تسديد نفقات الاستشفاء



لوقعنا في ورطة. لم أكن أتوقع منك التعامل مع كل هذا.

- لمَ لا؟ وهل نجحت أنت في ذلك؟.

رمقته بنظرة. كادت فداحة غلطتها تقتلها. لم تمنحه أيّ خيار، ولا يتحمل أحد سواها مسؤولية مثل هذا الخطأ.

حاولت هيثر أن تشرح له: «كان الأمر مختلفاً بالنسبة إلي. إنها عائلتي، وأمي كانت بحاجة إلي. توجّب علي البقاء بقربها».

- هذا كل ما في الأمر، أليس كذلك هيثر؟ إنها عائلتك، أما أنا فلم أكن كذلك أبداً. أنا مجرد نزوة جعلتها قانونية أيام الجامعة، وتخليت عنها ما إن أصبحت لا تناسبك.

- لا، لم يكن الأمر كذلك.

- إذاً قولي لي ما كان بالضبط.

نظرت هيثر من حولها علها تجد جواباً شافياً، فرأت جون وبيتر يقفان قرب خيمتهما يراقبانهما. فهل سمعا الحديث؟ وعادت تنظر إلى هنتر وقد أدركت أن شروحاتها لن تنفع في تبرير فعلتها كما ترغب.

فقالت ببساطة: «بدا هذا منطقياً حينذاك».

لم تشأ المضي في محاولة إقناعه بوجهة نظرها على مسمع غريبين.

- الحب ليس منطقياً، بل ملزماً. لم تكن أمك تعرف ذلك، ويبدو أنك لا تفعلين أيضاً. يبدو لي أنك تغاضيت عن حقائق الحياة. علقت مصيرك بمصير أمك علّ فعلتك تبدو نبيلة وعظيمة، فتبرري ما فعلت. لكنك لا تقدّمين لها أي خدمات، وستبقين تخدعين نفسك مدى الحياة. إلا أنه عذر رائع، أليس كذلك؟ لا أستطيع أن أفعل شيئاً بسبب أمي. تمسكي بهذا العذر هيثر، فهذا ما سيبقى لك للمستقبل.

ونهض ومشى باتجاه المياه المتدفقة، باتجاه ضفة النهر.

لكن جون وبيتر مشيا أيضاً نحو ضفة النهر ليمنحاهما بعض الخصوصيّة. تمنت هيثر لو تنشق الأرض وتبتلعها. إن هنتر مخطئ فهي لم تلازم أمها لتبرر فعلتها. أمها بحاجة إليها فعلاً. كانت تعلم أن الحب

ملزم، وقد تاقت إليه طوال حياتها، واعتقدت أنها وجدته مع هنتر، لكنها ضحت تضحية كبرى باسم الحب، لتجد أنها بائسة مثله تماماً. ما ضحّت به هو فرصتها الوحيدة لإيجاد السعادة.

* * *

مشى هنتر على ضفة النهر، غاضباً من نفسه ومن هيثر في آنٍ معاً. كيف تجرأت على فعل هذا؟ على حرمانه من فرصة اتخاذ قرار يتعلق بحياته؟ أم أنها طريقة ذكيّة كي تحول أخطاء الماضي لصالحها فيفكر جدياً في تسليم المشروع لشركة «جاكسون أند برينس»؟ لم يكن يعرف هذه المرأة على الإطلاق. لقد تزوجا حين كانا شابين مندفعين، لا يفكران بشكل عقلاني، هذا ما يتذكره على الأقل من الوقت الذي أمضياه معاً.

لقد تابع حياته ويبدو أنها فعلت أيضاً، إنما ليس في الاتجاه الذي أرادته. وإذا أرادت أن تؤمن الرعاية لأمها طوال حياتها فليكن.

لم يتمكن بسببها من إيجاد امرأة أخرى يحبها، إنما لعلّ هذه الرحلة تفتح عينيه وتحرره من الماضي.

هدّأت النزهة من أعصابه، فتوقف فجأة ليتأمل المياه المتدفقة. عليه أن يعود بالفريق إلى نقطة الانطلاق ويودعهم ليرجع بعدئذٍ إلى دنفر ويُعلم آلان أن فكرة التخييم مع المدراء التنفيذيين مجرّد حماقة من البداية حتى النهاية.

فبيتر كاد يصيبه بالجنون. وقد أحب جون، لكنه بالكاد تحمّس لمناقشة أفكار شركته. أما هيثر فحاول أن يتصوّر التعامل معها على أساس مهني في السنوات العشر القادمة، لكنه فشل.

لم يتمكن من التفكير سوى بعينيها، والحزن الذي تختزنهما، وبضحكتها التي أدفأت روحه. فكيف لهما أن يتعاملا كأي شخصين عاديين في حين أن كلاً منهما يعني الكثير للآخر؟

لم يجد أيّ جواب على تساؤلاته فاستدار وتوجه عائداً إلى المخيم. حين وصل، كان جون يجلس بجانب هيثر فيما الخيم موضّبة وموضوعة جانباً،



بالقرب من الحقائب.

سأل هنتر: «جاهزون للانطلاق؟».

ردّ جون وهو ينهض ببطء: «نعم، وقد قسمنا أغراض هيثر بيننا نحن الثلاثة».

- أحسنت.

قالت وهي تقف: «ما زلت أعتقد أنني استطيع تدبُّر أمري».

لكنها عانت من آلام مبرحة طيلة الطريق حتى شك هنتر في أن تصمد لبقيّة النهار.

- ستتولى الأمر، لنتطلق!

ووضع الحقيبة على كتفه ثم حمل حقيبة هيثر الفارغة. وقاد المجموعة فتبع بيتر خطواته قائلاً: «لم أكن أعلم أنك كنت متزوجاً بهيثر».

لم يشأ هنتر مناقشة ماضيه، لا سيما مع غريب كبيتر، فردّ: «انتهى ذلك منذ عشر سنوات».

- إذاً لن يؤثر هذا على عمليّة اختيار الوكالة؟.

فأجاب هنتر باختصار: «لن تؤثر عليك بأي طريقة».

وأخذ يوسع خطواته بشكل طفيف. فكلما أسرعوا في الوصول إلى نقطة الإنطلاق، كلما بكّر في تركهم والعودة إلى دنفر.

أصبح بيتر هادئاً، وهي نعمة تمناها هنتر. إذا بقي الرجل على صمته، فقد ينسجم مع إيقاع النزهة ويستمتع بجمال الطبيعة وباستهلاك عضلاته للطاقة. لم يكن الممر منحدراً أو حتى وعراً، وكانت أصوات الغابة تهدّئ الأعصاب. نظر إلى الخلف ليتفقد حال هيثر، وقطب لرؤيتها مع جون.

لم يخطر لهيثر أي كلام تقوله لهنتر لتصحيح الأمور بينهما. كل لحظة تمر، كانت تقربها من الفراق، ولم تتحسن الأوضاع بعد. لقد أتيحت لها فرصة ثانية، فأضاعتها من يدها. هذه الفكرة وألم كتفها جعلا النزهة مزرية. فكل خطوة تخطوها تزيد من ألمها، كما لاقت صعوبة في المشي. وجل ما أرادته هو الجلوس وعدم التحرك ليوم أو اثنين حتى يتحسّن

وضع كتفها.

أرادت أن يفهم هنتر وجهة نظرها في الموضوع، وأن يساعها على ما فعلته ويقول إنه يرغب في تمضية بعض الوقت معها.

لكنها ستكون محظوظة إذا ما ودّعها في نهاية الرحلة، فمن المحتمل أن يهرع إلى سيارته وينطلق مسرعاً من الموقف.

لم يزعجها ألم كتفها بقدر ما آلمها قلبها. لقد حاولت طويلاً وكثيراً أن تنسى هنتر، وكرّست نفسها لحاجات أمها وأقنعت نفسها منذ بضع سنوات باستعدادها للمضي قدماً وبأنها ستجد يوماً رجلاً يحبها بقدر ما أحبها هنتر ويستطيع التعامل مع وضع أمها.

هل كان هنتر محقاً؟ أكانت تختبىء خلف حاجات أمها لتحمي نفسها من العالم؟

لكن ما إن نظرت في عيني هنتر منذ بضعة أيام حتى أدركت بأنها تخدع نفسها وبأنها لن تغرم بشخص آخر. كانت تحبه، لقد أحبته منذ اللحظة الأولى التي رأته فيها، وستحبُّه للأبد. لن ينفعها أي رجل آخر فهي تفضّل أن تعيش العمر وحيدة على أن تعتمد ثاني أفضل خيار.

وإن لم تجبر بعض التعديلات على حياتها، فهذا ما سيحصل في المستقبل، ستصبح وحيدة.

إلا أن أمها لا تزال تعتمد عليها، فماذا عساها تفعل؟

وحين تعثرت للمرّة الثانية في أقل من خمس دقائق، مدَّ جون يده وأمسكها من الذراع التي لا تؤلمها.

- لنجلس ونرتاح، إنك تبذلين جهداً كبيراً.

ونادى الآخرين فيما قاد هيثر إلى جذع مكسور، فجلست ممتنة، وكتفها ينبض بالتناغم مع دقات قلبها.

قال جون حين عاد هنتر وبيتر على أعقابهما للانضمام إليهما: «تحتاج هيثر للراحة».

والتقت عيناها عينيّ هنتر، فتمنّت أن يقرأ فيهما العذر الذي حاولت



قوله.

جلس بقربها ونظر إليها باهتمام، ثم سأل: «كيف حال كتفك؟».

- يزعجني قليلاً.

عندئذٍ، مد يده ودلّكه بنعومة. تسمّرت هيثر في مكانها، إذ كانت لمسته غاية في الرقة، وعيناه قاتمتين ودافئتين. اعتقدت أنها ستضيع في رقة لمسته المخمليّة. ولا بد أنّ مشاعرها انعكست على تعابير وجهها إذ رأت عضلات فكه تتشنج ثم أشاح بنظره عنها، فأطلقت نفساً عميقاً وقد أدركت أنها تحبه حباً جماً.

كانت تشعر بقلبها يخفق بقوة بين أضلعها. لم تشح بنظرها، وتاقت لأن تضمه بين ذراعيها ويضمها إليه ولأن تخبره بأنها ستكون له دوماً إن أرادها، فالظروف تغيرت. هل يُعقل أن يمنحها فرصة ثانية؟

قال وهو ينهض: «يمكننا وضع كمادة من الماء البارد على كتفك عند وصولنا إلى الجدول، فإذا خفَّ الورم سيخف انزعاجك».

- لا أريد أن أكون السبب في التأخير. أنا بخير.

هز جون برأسه، فقطبت هيثر وأردفت: «حسناً، لست بخير تماماً، لكني قادرة على السّير. لننه الرحلة اليوم».

ومرّت الساعات بطيئة إذ اضطرت هيثر للتوقف مرات عدة. لم تطق أن تكون السبب في تأخير المجموعة، لكنها لم تعرف ماذا عساها تفعل سوى أن تجاهد. لم تشأ أن تقضي ليلة أخرى قرب هنتر تشاركه الفراش، ليس مع كل ما يجري بينهما.

أشعل جون وبيتر النار حين توقفوا لتناول الغداء. أما هنتر فشرع يهيىء القهوة، ويوزع الطعام: «لست واثقاً من المسافة المتبقية، لكنني أعتقد أننا سنصل بسهولة قبل حلول الظلام».

سارت هيثر بتمهل، آملة أن تحافظ على ليونتها. وحاولت أن تتجاهل وجع كتفها، لشدة ما كانت تتوق لإنهاء الرحلة.

تناول هنتر حصته من وجبة الغداء، ومشى بجانبها ثم قال بنعومة:

«كنت محقاً، فسروالي يليق بك».

وضع يده على خصرها فشعرت هيثر وكأن لمسته تكويها، كما سرت الحرارة في جسمها كله. أخذ قلبها يدق سريعاً فيما انقبضت أعصابها شوقاً.

راحت ترتجف وتترنح. عليها أن تستعيد رباطة جاشها، فلا يمكنها أن تسمح لأيّ لمسة منه أن تشعل النار فيها وإلّا ستصبح حمقاء. فهي لا تظن أنه سيلين، وإذا أخبرته بحقيقة شعورها، فسيتهمها بمحاولة الحصول على المشروع، أو حتى بالطمع لأنه اليوم أكثر ثراء مما كان عليه منذ عشر سنوات. لن تحتمل العذاب الذي سيسببه حكمه عليها.

مع انتهاء الغداء، شعرت هيثر بأنها على استعداد لاستئناف المسيرة. عليها أن تفعل، لأنها لا ترغب في إطالة وقت السعادة المريرة. أرادت العودة إلى بيتها لتنظم أمورها وتقرر ما تريد في المستقبل، إلى جانب هنتر.

كان تقدّمهم في فترة بعد الظهر بطيئاً إنما ثابتاً، فلم تقع هيثر ولم تتأخر عن الفريق. وبعد مضي ساعة، كانت مستعدة للتوقف في استراحة.

ناولها هنتر زجاجة الماء فشربت بنهم، وشعرت بالمياه باردة ومنعشة في جوفها.

سألها وهو يجلس بجانبها: «كيف تشعرين؟».

أبقى حقيبته على كتفه فيما أنزل حقيبتها، فالاستراحة قصيرة.

- حالتي تراوح مكانها.

وابتسمت مسرورة بالاستراحة وبرفقته. تمنت لو تسند رأسها إلى كتفه، وتشعر بذراعيه تغمرانها، لكنها تمسكت بزجاجة الماء لئلا تنفجر بالبكاء.

- إنك تبلين حسناً، هيثر، أفضل مما توقعت. حافظي على هذه الوتيرة وسنصل إلى نقطة الانطلاق سريعاً.

هزت رأسها وقد أثلج مديحه صدرها، متجاهلة ما تشعر به من انزعاج. فالمجموعة لم تقطع مسافة طويلة في خلال ساعة كاملة. وقد قررت أن تمضي حتى النهاية مهما كلف الأمر.



- أنا مستعدة.

لم تكن كذلك، لكنها لن تستطيع الاستراحة طوال النهار بعد مسافة قصيرة قطعتها منذ وقت استراحة الغداء.

تماماً بعد الساعة الثالثة، وصلوا إلى الفسحة حيث يقع المسكن، على بُعدِ ياردات من السيارات المتوقفة.

«لقد نجحنا!» قالت هيثر متعجبة.

فقال هنتر: «كان عملاً جيداً».

قام الرجال بتوضيب أغراض هيثر داخل سيارتها بأسرع ما يمكن، وكان جون أول المغادرين بعد أن صافح الباقين وحث هنتر على القيام برحلة أخرى، خالية من حافز إمضاء عقد المشروع.

وقام بيتر بعرض أخير لدعم وكالته، ورحل.

أوصل هنتر هيثر إلى سيارتها. وسألها: «ستتمكنين من الوصول إلى الديار، أليس كذلك؟».

- أجل.

لم تكن واثقة من إمكانية قيامها بذلك في الليلة ذاتها، لكنها سترحل مرفوعة الرأس.

- إلى اللقاء، هيثر.

- انتظر هنتر، ماذا عن...

- سيقوم آلان بإعلان اسم الوكالة التي سنختار، ربما في مطلع الأسبوع القادم.

- ليس هذا ما يهمني، ماذا عنا نحن؟.

- ما من نحن هيثر.

لكنه ولينا قض كلامه، سحبها إليه وضمّها بين ذراعيه وعانقها. كان عناقه حارّاً، ولمساته كهربائية عندما ضمها إليه، وازداد عناقهما حرارة. وكانت هي تائهة. لم تستطع الحراك ولم ترغب بذلك أصلاً، وكانت سعيدة بذلك. وسافرت أناملها على خط شعره الكثيف الناعم، وكان

جسدها يصرخ للمزيد. لم ترغب قط بأن تدعه يذهب.

كانت لمساته مهدئة، محببة، وشعرت هيثر بالدفء والنعومة والاسترخاء. وتراجع ساحباً يدها من على عنقه، وثبتها بما يكفي لتستعيد توازنها.

قال برقة ويده تلامس عنقها بنعومة وكأنها تتردد في قطع الاتصال: «إنك خطرة».

فقالت: «لا أريد أن أقول وداعاً».

وأجاب متراجعاً: «إذاً قولي دعني أراك من حين لآخر. تمتعي بحياة جيدة، هيثر».

وقالت بدون تحفظ: «أحبك هنتر، لطالما أحببتك، آسفة لأنني رحلت من قبل. أرجوك، ألا يمكننا المحاولة من جديد؟ فلا أريد أن أقول وداعاً».

ودون أن يتفوه بكلمة، هز رأسه واستدار متوجهاً نحو سيارته فوضع الحقيبة في الداخل متجاهلاً المرأة التي تقف بالقرب من سيارتها.

ابتلعت هيثر ريقها بصعوبة. لقد قالتها ولم تهتم. ودخلت إلى سيارتها ببطء، وأدارت المحرّك ورجعت في الموقف. وبنظرة سريعة في مرآة الخلف نظرت إلى الرجل الذي لم يَلتفت ورحلت متوجهة نحو سياتل.



## ٩ - لن أعيش في ظل أمي!

استدار هنتر ما إن غادرت سيارتها الموقف، يراقب وصولها إلى الطريق العام وانعطافها غرباً.

لقد قالت: أحبك، ألا يمكننا المحاولة من جديد؟.

ولماذا؟ ليمضيا بضعة أسابيع معاً قبل أن تحتاج إليها عائلتها ويخسرها من جديد؟ لم يكن من الصلابة بحيث يحتمل ذلك. لم يشأ أن ينجذب إليها، أو يأمل بعودة الأمور إلى مسارها الصحيح. في الواقع، كان مستاءً منها لما شعر به بعد مرور كل تلك السنين، لأنها جعلته يريدها غير آبه بالعواقب. إلا أنها اختارت طريقها بنفسها، ولتتحمل النتائج.

لقد اختارت أمها منذ عشر سنوات، ولم تلتفت إلى الخلف. كان بإمكانها أن تكلمه في أي وقت خلال تلك السنوات، ولكنها لم تفعل قط.

تأمل الغابة، متمنياً لو أن الرحلة لم تحصل أصلاً، ثم صعد إلى السيارة المستأجرة وانطلق. سيصل إلى دنفر غداً، وينسى الرحلة ويمضي.

بعد ساعة من القيادة، أحست هيثر بالإعياء. لم تجر أي من الأمور على النحو الذي أرادت، فلِمَ تكون رحلة العودة إلى المنزل مختلفة؟.

شاهدت فندقاً إلى يمين الطريق فانعطفت. سوف تستأجر غرفة وتحصل على حمام ساخن وتنام في سرير وثير حتى الصباح، فربما تبدو الأمور أفضل حينها.

انهمرت الدموع من عينيها وانسكبت على خدّيها. لم تشأ العودة إلى المنزل... ليس وحدها. كما لا تريد تمضية السنوات المقبلة وحدها كما

أمضت السنوات العشر الماضية. لقد فعلت ما في وسعها، وأخبرت هنتر أنها تحبه، لكن هذا لم يكن كافياً. فماذا عساها تفعل الآن؟.

حجزت هيثر في الفندق، ثم ذهبت لإحضار بعض الطعام الساخن، آملة أن تتمكن من البقاء مستيقظة لتناوله والاستحمام قبل أن تأوي إلى الفراش. كانت منهكة ومكسورة القلب.

زودها الطعام بالطاقة، ومنحها الحمام شعوراً بالراحة. انسلت في الفراش نظيفة دافئة وأدارت التلفاز. ما أروع أن تنام في فراش وثير بدلاً من الأرض الصلبة! وما إن استعدت لإطفاء النور في وقت لاحق، حتى خطرت لها أمها. كان الجميع يتوقع عودتها إلى سياتل الليلة، وسترتعب أمها إن لم تظهر في الوقت المحدّد.

رفعت سمّاعة الهاتف متنهدة وطلبت رقم عمّها فأجابت سوزان: «آلو؟».

- مرحباً، عمّة سوزان، هذه أنا هيثر.

- أهلاً عزيزتي! هل وصلت إلى منزلك؟.

- لا، ما زلت في منطقة الجبال، وسأبقى هنا الليلة قبل أن أعود. لم نصل إلى حيث أوقفنا السيارات في وقت مبكر.

لم تكن تنوي إخبار أحد عن كتفها، فلا داعي لأن تقلقهم.

سألت: «كيف حال أمي؟».

ردّت سوزان بخفة: «إنها بخير مع أنها لا تكف عن التذمر. فهل تفعل هذا في المنزل أم أننا وحدنا المحظوظون؟».

واستعدّت هيثر للدفاع عن أمها، إلا أنها فكرت في الأمر للحظة، فأدركت أن أمها كثيرة التذمر.

- أعتقد أن هذا اسلوبها.

هل كانت تختبىء خلف حاجات أمها كما قال هنتر؟ لم تبتعد عنها سوى لأسبوع، لتدرك أنها لا تريد العودة إلى المنزل!.

- توقفت عن التذمر حين أخبرتها عن النعم التي تحظى بها. ثمة



أشخاص عديدون حالتهم أسوأ بكثير من حالة أمك، وليس لديهم ابنة مثلك تكرس حياتها للسهر عليهم. أعلم أنها ستسر بالعودة إلى المنزل بعيداً عني.

فجأة أحسّت هيثر أن الأبواب عادت تغلق عليها. لم تشأ العودة إلى الشقة، وإلى عمل لا تحبه مجبرة على الاعتناء بأمها. لم تكن قد تجاوزت التاسعة والعشرين من العمر، وليست مسنّة لتتبع مثل هذا النمط في الحياة. ولتضحي بكل شيء مقابل أن ترعى أماً قادرة على أن تتدبر أمورها بأقل مساعدة ممكنة. كانت هذه المرّة الأولى التي تعيد فيها حساباتها لتجد أنها متطلبة.

- هيثر؟

أجابت: «آسفة، كنت أفكر».

- هل أمضيت وقتاً ممتعاً؟.

- نعم ولا، فأنا...

وأقفلت هيثر فمها، غير راغبة في إخبار أحد عن لقائها بهنتر. لم يكن أحد من عائلتها يعلم بزواجها، سوى ساول.

- هل العم ساول موجود؟.

- لقد أوى إلى الفراش، أتريدينني أن أوقظه؟.

- لا. لا تفعلي. سأتكلم معه حين أصل إلى المنزل.

وتمنت لو تستطيع التحدث إلى أحدهم. ولكن، هل سيصغي ساول إليها ويتعاطف معها؟ إن كان من أحد يتفهمها، فستكون العمة سوزان.

- لقد التقيت هنتر برادوك أثناء الرحلة.

- أوه، أهو صديق قديم؟.

- يمكنك قول ذلك.

واتكأت هيثر إلى وسادة السرير ثم أردفت: «كان زوجي منذ عشر سنوات».

سمعت تنهيدة سوزان المصدومة بوضوح عبر الهاتف: «عمَّ تتحدثين؟».

- لقد تزوجنا أثناء أيام الجامعة، وقد تخليت عنه حين توفي أبي وأصيبت أمي بجراح بالغة. كان في المخيَّم، ألم يخبرك ساول قط عن هنتر برادوك؟ من الواضح أنه كان يعلم طوال تلك المدّة. وقد ساهم في إنهاء زواجي، مع أنني لم اكتشف ذلك إلا أثناء الرحلة.

- يا للمأساة! لم تكن لدي أدنى فكرة. أتقولين إن ساول كان يعلم؟ لم يذكر لي الموضوع نهائياً.

- لم أخبر أحداً بذلك. وحالما علمت بمدى خطورة إصابة أمي، أدركت أنه لا يمكن لهنتر تحمّل مثل هذا العبء. لذا بدأت معاملات الطلاق. لكن هنتر قال لي أثناء الرحلة إنه جاء إلى سياتل لرؤيتي فطرده ساول. فلا عجب من حصول الطلاق بسهولة.

بل لا عجب من عدم محاولته الاتصال بها كل تلك السنوات، فقد رحلت فيما تولت عائلتها الباقي.

- عزيزتي، لم يخطر لي ذلك مطلقاً. يا لك من بائسة! خسرت أباك ومن ثم زوجك. حسناً، كل ما استطيع قوله هو إنه لا يستحق الاهتمام إن لم يقف إلى جانبك في حين كنت بأمس الحاجة إليه.

ورمشت هيثر، غير متوقعة صدور مثل هذه الإدانة.

- لم تكن غلطته بل غلطتي أنا، وغلطة ساول ربما.

- كيف تقولين هذا؟ فلست أنت من تسبب بالحادث. اعتقد أن هذا كان عذراً واهياً لرجل أراد إنهاء الزواج لأن الأمور لم تسر على خير ما يرام.

- لا، يبدو أنني لم أشرح الأمر جيداً.

وأخبرت هيثر عمتها قصة تواعدهما، ورفض أهلها حتى الاستماع إليها حين أرادت إخبارهما عن الرجل الذي عنى لها الكثير، ومن ثم عن زواجهما المختصر.

قالت سوزان في النهاية: «هيثر، لم تعطه الفرصة حتى ليكون بجانبك عزيزتي. هذا ظلم له».



- لم أشأ أن أحمّله عبء أمي والعناية بها. تعلمين أن العناية بها تطلّبت كل فلس نملكه وأكثر. فهل كان من العدل أن أثقل كاهله بالديون قبل أن يتخرج من الجامعة؟ لقد ناضل كثيراً للدخول إلى الجامعة، وكان يستحق أكثر من مجرد تحمّل أعبائنا.

- إذن أعطيته حريته!.

هزت هيثر رأسها، لكنها أدركت أن عمتها لا تستطيع رؤيتها، فردّت:

- ظننت أنني فعلت، لكنه لا يرى الأمور من هذا المنظار. ما زال غاضباً مني، لم أكن أتوقع أن يدوم غضبه حتى الساعة. لم أشأ أصلاً أن يغضب مني.

- عودي إلى المنزل عزيزتي وستتحدث بالأمر. إن كان لا يزال غاضباً فهذا يعني أن مشاعره تجاهك قوية. هل تحبينه؟.

وانفجرت هيثر بالبكاء: «كثيراً، لدرجة أني أتألم».

قالت سوزان تهدىء من روعها: «في الصباح تعالي مباشرة إلى هنا، وسوف نعيد ترتيب الأمور. سأخبر أمك أنك ستأتين غداً. لا تحتاجين إلى التكلم معها الليلة».

وضعت هيثر سماعة الهاتف، وراحت تبكي. ظنت أن دموعها جفت منذ زمن بعيد، لكن الفراق كان أقسى في المرة الثانية. كانت تحب هنتر، فلم لا يظلان معاً إلى الأبد؟ ما الذي أبقاهما منفصلين في حين أنّ كل ما تريده هو العيش معه؟ لم تر سبيلاً لتغيير مجرى الأمور، وهذا كان خطؤها. لكم كان هذا مؤلماً! وبدلاً أن تجد في النوم راحة، أمضت معظم الليل تبكي بكاء مريراً.

تلك الليلة وصل هنتر إلى سياتل قبل الساعة العاشرة، وكان قد حجز في أحد الفنادق الكبيرة القريبة من وسط المدينة. سيزور المتجر الجديد في الصباح، فلن تضر معاينة المكان. كان قد قرر العودة إلى دنفر على متن طائرة رحلة بعد الظهر، لكنه لم يعد واثقاً من أنه سيلتزم بالموعد. ربما

يزور مكاتب الوكالات التي تتنافس للحصول على مشروع شركته بدءاً بمكاتب «جاكسون أند برينس».

قال في سرّه وهو يقف تحت مياه الحمام الساخنة: لكم تهوى تعذيب نفسك! لم يكن بحاجة لرؤية هيثر من جديد. كان أسبوعاً قاسياً، وقد زادت كلماتها عند فراقهما من قساوته.

لقد رفض خوض التجربة مرّة أخرى. جربا الزواج، فرحلت عند أول فرصة سانحة، ما إن واجهت أولى الصعاب.

ما عيبه حتى لا تسير النسوة معه على الدرب؟ فأمه رحلت، وهيثر أيضاً.

رحيل الامرأتين لا يشكل قاعدة، لكنه ترك أثراً أليماً لا يجرؤ على تجربته مجدداً.

جفف نفسه ومشى إلى نافذة غرفته الواسعة المطلة على وسط مدينة سياتل. كانت الأنوار تشع في الظلام، فبدت المدينة مسحورة وكأنها موطن الجن. وكاد هنتر يتأوه من أفكاره الجهنمية. إنه موطن الجن بحق! ثمة رجال ونساء يعملون ساعات طوال بغية تحقيق أهدافهم، ولقد نجحت «ترايلزوست» باتباع المنهج نفسه. إنه اليوم يملك كل ما يريد. وتوقه إلى ما فقده منذ زمن بعيد لن يغيّر شيئاً.

لقد حقق ما لم يتمكّن والده من تحقيقه، وسيفكر في الزواج يوماً ما. فهو يرغب في إنجاب ولد أو بنت ليترك له الشركة من بعده.

تأمل المشهد للحظات طويلة، وللمرة الأولى منذ سنوات اعترف هنتر بالحقيقة. لقد اشتهى ما لا يملك، عائلة تملأ عليه حياته. فلا بأس بالأصدقاء، وشركاء الأعمال. لكن لا شيء يبدد إحساسه العميق بالوحدة. لقد حقق ما أراد في عالم الأعمال، وحان الوقت كي يهتم بحياته الشخصية ويضع هدفاً ويسعى لتحقيقه.

وفكر في النساء اللواتي خرج معهن طوال تلك السنوات. كاد يطلب يد جانيت. فلماذا لم يفعل؟ كانت لتشكل زوجة مثاليّة. فهي امرأة دمثة،



مسليّة وجميلة. أو حتى بريتاني، فهي رائعة. لكنهما لم تكونا هيثر!

وسمع صوتاً في داخله يقول: أبوه لم يتخط مطلقاً هجران زوجته له، فهل قُدّر له أن يعيش المصير ذاته، ويتوق أبداً للنجوم؟

* * *

وصلت هيثر إلى سياتل عند الحادية عشرة من صباح اليوم التالي. وكانت قد أخذت موعداً من طبيبها ليعاين كتفها، وبعد أن اطمأنت إلى تشخيصه وتزودت بمسكنات ألم قويّة، توجهت مترددة إلى منزل عمّها. شعرت بالندم لأنها أخبرت سوزان بكل تلك الأمور الليلة الماضية. احتفظت بالسر سنوات طوال، فَلِم تدع أزمة بسيطة كهذه تغير مجرى حياتها؟

أرادت أن تتحدث إلى عمّها لترى ما يعرف عن موضوعها. هل كان هنتر ليسعى خلفها لو لم يتدخل؟ هل كان لينضم إليها بعد انتهاء الامتحانات؟ وتمنت لو تغيّر صفحة الماضي، لكن هذا مستحيل!

ومع ذلك، كانت سعيدة بأن يشاركها شخص آخر سرّها. فالعمّة سوزان إمرأة يمكن الوثوق بالتحدث إليها حول المستقبل. فهي امرأة حكيمة.

إنها تتمتع بما يكفي من الحكمة لترى أن هيثر تهدر حياتها الخاصة لتعتني بأمها. كانت تختبىء خلف أمها، كما يقول هنتر.

أخذت هذه الفكرة تتبلور أكثر فأكثر منذ رحلت عن سياتل الأسبوع الماضي. ربما حان الوقت لقطع خيوط ارتباطها بأمها ولشقّ طريقها في الحياة. كانت مقعدة في كرسي متحرّك، إنما ليست عاجزة عن الاعتناء بنفسها. فهي تطبخ من وقت إلى آخر، حين يسمح مزاجها بذلك، كما أنها تهوى صنع اللحافات وتستطيع استعادة صداقاتها القديمة إذا ما بذلت بعض الجهود. تسلّحت هيثر بقرارها هذا، وركنت سيارتها أمام منزل عمها الواسع. وتذكرت للحظة المنزل المتواضع الذي كان والداها يملكانه قبل أن يضطرا لبيعه لتسديد فواتير الاستشفاء. لم يكن كبيراً كمنزل

ساول، لكنها تعلم أن أمها تفتقده. ولو سارت الأمور بشكل طبيعي لكانت هيثر متزوجة الآن ولديها عائلة. وطالما أنها تنعم بحب زوجها فأي مكان هو منزلها.

ورغم المحاولات التي قامت بها، فإن الصورة الوحيدة التي شغلت مخيلتها هي تلك الشقة الصغيرة التي شاركتها مع هنتر. لقد بدت لها قصراً وهو معها.

نادتها العمة سوزان من أمام المنزل، وعلى شفتيها ابتسامة عريضة ترحيباً بهيثر: «أهلاً، هيثر».

ترجلت هيثر من سيارتها ومشت نحوها ببطء. شعرت بانقباض في معدتها، لكنها كانت مصممة على إجراء بعض التغييرات. كانت كتفها تؤلمها قليلاً، إلا أن الدواء الذي أعطاها إياه الطبيب أراحها قليلاً. وتمنت لو أنه يشفي القلوب المحطمة كما يشفي جروح الجسد.

- مرحباً، عمّة سوزان.

وغمرتها بحنان، فتأوهت قليلاً بسبب الضغط على كتفها.

- ما الخطب؟

- وقعت أثناء الرحلة فأصيب كتفي. سبق وذهبت إلى الطبيب، فقال إني سأكون بخير في غضون أسابيع، لكن هذا مؤلم.

- قال ساول إن الرحلة ممتعة بدون خطر.

- لم تكن خطرة كثيراً لكن الأمر انتهى بنا بفقدان رجلين أحدهما غادرنا بسبب المرض والآخر بفعل تعرّضه لحادث، وأنا أصبت.

- هيا أخبريني بكل ما جرى، إن أمك تتوق لرؤيتك.

قالت أميليا من خلفهما: «وللعودة إلى المنزل كذلك».

كانت تجلس في كرسيها، مقطبة الوجه: «ظننت أنك ستعودين البارحة، هيثر. وأنا أكثر من مستعدة للعودة إلى المنزل».

- أمي!

صدمت هيثر من صراحة أمها الزائدة. فأضافت: «أنا واثقة من أنك



تريدين العودة. لكن بعد كل ما فعله سوزان وساول، أعتقد أنّ عليك إظهار بعض العرفان بالجميل».

رمقت أمها سوزان نظرة غاضبة، فيما سألت هذه الأخيرة: «أتتناولين الغداء معنا؟».

ردّت هيثر: «أجل».

لكن أمها كانت تقول: «لا!».

نظرت هيثر إلى أمها قائلة: «تستطيعين الذهاب وحدك. فبما أن العمّة سوزان دعتني، سأبقى».

قالت أميليا: «هيثر، كيف تجرؤين على التحدّث إليّ بهذه الطريقة؟».

- في الواقع، أمي لدينا حديث طويل. سأنتظر لنعود إلى الشقة، لكن الأمور سوف تتغيّر. ولعل العمّة سوزان يجب أن تعلم هذا منذ البداية، سأجد من يساعدك وأرحل».

بدت أميليا مذهولة: «هيثر!».

تعجبت سوزان، واستدارت لتخفي ابتسامة.

ورنّ جرس الهاتف فذهبت لتجيب.

سألت أميليا: «ما بالك هيثر؟ هل كثير عليّ أن أطالب بالعودة إلى المنزل؟ لقد مكثت ما يكفي في منزل هذه المرأة».

- يجدر بك أن تشعري بالسعادة لأنّ العمّة سوزان والعم ساول رضيا باستضافتك في غيابي. كان بإمكانك البقاء في المنزل.

- تعلمين أن هذا مستحيل.

- بل أظن أن هذا ممكن جداً أمي، وعلينا إيجاد طريقة نتدبر فيها أمرك، لأنني لن أبقى.

لقد تبلورت الفكرة في رأسها في طريق عودتها إلى سياتل، وأثناء فترة الانتظار في عيادة الطبيب. وحالما تأكدت من أن أمها تستطيع تدبر أمورها، قررت زيارة دنفر. ربما إذا أظهرت لهنتر أنها تستطيع الذهاب إليه سيرضى عنها.

قالت أميليا: «أنا أحتاجك. ماذا حصل في هذه الرحلة لتتغيري هكذا؟».

- أنا في التاسعة والعشرين من عمري، وأريد حياة أخرى غير الذهاب إلى الوكالة وتمضية الليل برفقتك في المنزل. أحبك وتعرفين ذلك. ولكن لا يجوز أن أهدر حياتي فيما تستطيعين التمتع بنمط الحياة الذي تريدين إن قمنا ببعض الترتيبات. فبهذه الطريقة سأتمكن من أن أتمتع بحياتي أنا أيضاً.

وسألتها: «هل سبق أن خطر لك هذا؟».

شرعت أميليا تقول، وهي تلهو بطرف فستانها: «أعلم أنني لطالما كنت عبئاً، ولكن حين توفي والدك لم يعد لي سواك في هذه الدنيا. لا يمكنني الاعتناء بنفسي وأنت تعلمين هذا جيداً».

- أمي، أنت لم تكوني عبئاً على الإطلاق. لكن لديك الكثير من الأصدقاء، ممن تركتهم منذ سنوات. كما لديك هوايات ونشاطات لتخرجي من المنزل. العديد من الأشخاص المقعدين يعيشون حياة رائعة. بإمكانك أن تكوني واحدة منهم.

حدقت أميليا إلى هيثر وكأنها أصبحت شخصاً مختلفاً، وقالت: «لا أعلم ما الذي حلَّ بك».

وانضمت إليهما سوزان في البهو قائلة: «أظن أن الأمر يتعلق بشخص يدعى هنتر برادوك. دعونا نذهب إلى المطبخ. سأحضر الطعام بينما نتحدث. كان ساول من اتصل».

وأردفت وهي تتوجه إلى المطبخ: «أراد أن يعلم حقيقة العلاقة بين هيثر وهنتر هذه الأيام».

سألتها أميليا، وهي تدفع كرسيها لتواكب خطوات سوزان السريعة: «ومن هو هنتر برادوك؟».

أجابت سوزان: «إنه صاحب «ترايلزوست» وصاحب المشروع الذي أرسل ساول هيثر من أجل الحصول عليه. يبدو أن الرجل قصد مكتب



«جاكسون أند برينس» هذا الصباح وفي رأسه الكثير من التساؤلات».

لحقتهما هيثر، مرتبكة. هل ذهب هنتر إلى الوكالة؟ وتمنت لو أنها بذلت جهداً وحاولت الذهاب إلى العمل. لا، لعله من الأفضل ألا تراه مجدداً. لقد كانت بلهاء بما يكفي حين ارتمت بين ذراعيه واعترفت له بأنها ما زالت تحبه، فهو لم يكن يريد سماع ذلك. آلمتها الفكرة، لكنها أخذت نفساً عميقاً لتمحو آثار الألم. لم تستطع أن ترضى برفضه، وهي تأمل أن يرى الأمور من زاوية مختلفة حين تذهب إليه في دنفر.

سألت أميليا وهي تتوقف وسط المطبخ الواسع: «ماذا يريد بحق السماء؟ أي نوع من الرجال هو؟».

بدأت سوزان تجلب بعض الأغراض من الثلاجة لتحضير الغداء، فيما نظرت إلى هيثر وهي تقول: «في الواقع، كان ساول فضولياً بشأن ما لدى هنتر، وقد ذهل حين عرف أن العلاقة بين هيثر وهنتر برادوك لا تزال حيّة، وهي علاقة تعود إلى سنين عدة».

سألت أميليا بحدة وهي تنقل ناظريها بين سوزان وهيثر: «وأي علاقة تلك؟».

نظرت هيثر إلى عمتها: «لم تتحدثي إلى عمي ساول، أليس كذلك؟».

هزت سوزان رأسها وردّت: «قلت لك إنه كان نائماً الليلة الماضية، وغادر هذا الصباح قبل أن أصحو. سأكذب إن قلت إنه ذهل حين أخبرته».

وسألت أميليا: «ماذا أخبرته؟».

أخذت هيثر نفساً عميقاً وواجهت أمها قائلة: «هنتر برادوك كان زوجي».

- هذا هراء، فأنت لم تتزوجي.

- في الواقع، بلى. لقد تزوجت أيام الجامعة، وتطلقت حين اضطررت إلى العودة إلى المنزل.

حدقت أميليا إليها، وقد بدت عليها إمارات الذهول. ثم سألت:

«هل تركت زوجك لتأتي لرعايتي؟».

هزت هيثر رأسها: «لم يكن من العدل تحميله هذا العبء وهذه النفقات. لقد عاش طفولة محرومة وعمل بجد ليصل إلى الجامعة، فلم أستطع أن أسلبه ذلك. كنت واثقة من أنه سيسر بترك الجامعة وبالعمل لمساعدتنا. لم أكن احتمل أن يحصل له ذلك».

وهزت كتفيها.

بدا وكأنها لا تهتم مطلقاً، في حين أن هذا غيّر مجرى حياتها بالكامل. لم تتفوه أميليا بكلمة، بل اكتفت بالتحديق إلى هيثر.

وسألتها سوزان: «هل من فرصة جديدة أمامكما؟»

هزت هيثر رأسها: «أثارت رؤيته بعد كل تلك السنوات مشاعري. لقد حقق الكثير من أحلامه، فسرّني ذلك. إنه ناجح ومستقر، وأظن أنني قمت بما هو صائب».

ورمشت لتمنع دموعها من الانهمار. فالقيام بالأمر الصواب لم يكن سهلاً، ولم يتوقف نزيف الجرح منذ ذلك الحين.

قالت أميليا أخيراً: «إنه الشاب الذي حاولت إخبارنا عنه أثناء عطلة الميلاد. اعتقدت أنا ووالدك أنه مجرّد هوس».

- لا أمي لم يكن كذلك. كنت أحبه كثيراً حينذاك، وظننت أني سأموت بعيداً عنه خلال عطلة الميلاد. أستأت كثيراً حين لم تأخذي أنت وأبي كلامي على محمل الجد. كان مهماً جداً بالنسبة إليّ، لكنكما صرفتما النظر وكأن ما من شيء يحصل. هل يفترض بالشخص أن يبلغ عمراً معيناً حتى يسمح له بالوقوع في الحب؟

أشاحت أميليا بنظرها وردّت: «ظننا أن الأمر عابر. كنا شديدي الرغبة بأن تحصلي على شهادة جامعيّة. لم ينل أي منا شهادة ورغبنا في أن تحوزي أنت عليها».

- أردت ذلك أيضاً. أردت أن أكون معلّمة، فأنا أحب الأولاد لكن القدر تدخل من خلال حادث السّير.



فقالت سوزان: «وها نحن اليوم هنا».

وأشارت إلى الطعام على المائدة، مضيفة: «لم يفت الوقت على الالتحاق بالجامعة، هيثر. أنا واثقة من أن عمّك ساول سيدعك تنظمين وقتك لحضور الصفوف ويمكن لاميليا أن تحصل على عمل لتغطية بعض المصاريف».

- ماذا؟ لا أستطيع...

واختنق صوت أميليا حين رأت البريق في عيني سوزان، واستدارت نحو هيثر: «لم أكن أعلم أنك تزوجت من ذاك الرجل. فأنت لم تخبرينا».

- أردت إنهاء العام الدراسي والحصول على علامات جيدة حتى أقنعك أنت وأبي بأن الزواج لن يحول دون التخرج. لكنني لم أتمكن حتى من إجراء الامتحانات النهائية».

جلست إلى المائدة بالكاد تلاحظ ألم كتفها، وأخذت تنظر إلى الصحون علّها تثير شهيتها: «أشكرك على الغداء عمة سوزان».

ونظرت سوزان إلى أميليا قائلة: «أنا أحب ساول، أميليا. أعلم أنك أحببت سام. وقد سبب موته صدمة لك، كما لنا جميعاً. تخيلي لو أنك هجرته وتخليت عنه منذ عشر سنوات لمصلحة عائلتك. لقد كانت هيثر شابة لكنني أؤمن بأنها أحبت ذلك الشاب، وهي ما زالت تحبه. أعلم أنني سأحب ساول مدى العمر. لقد ضحت بالكثير من أجلك، وأقل ما يمكنك أن تفعليه هو بذل بعض الجهد لتدعيها تحصل على ما تريده من الحياة. دعيها تذهب أميليا. يمكنك تدبر أمورك».

قالت أميليا بنعومة: «هيثر هي كل ما لديّ».

- ليس صحيحاً أمي، فلديك ساول وسوزان، وعائلة أورين كلها فضلاً عن عائلة بيتر وأصدقائك القدامى. لو بذلت بعض الجهد لاستعدت صداقاتك تلك.

سألت أميليا بمرارة: «ومن عساه يقبل بعجوز مقعدة مثلي؟».

فأجابت سوزان بصراحة: «ليس إذا أبقيت على سلوكك الحالي. لكن

لطالما كنت مرحة ومسليّة».

عندئذ، قالت أميليا: «أعتقد أنني وهيثر بحاجة إلى مناقشة الأمر بعمق».

- حسناً، حالما ننهي وجبة الغداء سنتوجه إلى المنزل.

وتدخّلت سوزان قائلة: «أخبريني عن رحلة التخييم».

- لا أعتقد أننا سنحصل على المشروع، إذ رافقنا رجل يملك جواباً لكل سؤال، كاد يصيبني بالجنون، وبقي ملتصقاً بهنتر، لذا أعتقد أنه سيفوز بالمشروع».

قاطعتها سوزان: «لا تهمني الأعمال على الإطلاق، أريد مزيداً من التفاصيل عن هنتر برادوك، وكيف بدا الأمر بعد فراق دام عشر سنوات».

ابتسمت هيثر بحزن وقالت: «كان رائعاً، قاسياً مذهلاً وحزيناً».

لم تستطع إخبارهم سوى القليل عن الرحلة، دون أن تذكر عناقهما والليالي التي أمضتها تحلم أو الاعتراف الذي أدلت به عند الفراق. فبعض الأمور خاصة جداً ولا يمكن أن تُقال.



## ١٠ - تمشي على الجمر

لم تتوقع هيثر أن يكون النقاش مع أمها سهلاً. حافظت أميليا على هدوئها حتى وصلا إلى الشقة، حيث أعلنت اعتراضاتها على استضافة ساول وسوزان، وأعربت عن مدى حاجتها لهيثر في حياتها اليومية، وشرحت كم سيكون صعباً عليها التأقلم مع صعوبة القيام ببعض النشاطات. أسفت لأنها عبء على ابنتها، لكنها تحتاج إليها. وقد لا تستطيع تدبر أمورها بنفسها، مهما قالت سوزان.

تركتها هيثر تقول ما تشاء لتخفف عنها. جلستا في غرفة الجلوس، وكانت كتف هيثر تؤلمها. أرادت أن تستلقي لكنها ستنهي هذه المسألة أولاً. كانت لا تزال عازمة على الرحيل كحالها في الأمس. وكانت تدرك أن الأمر صعب ولكن إن لم ترحل في أقرب وقت فلن ترحل ابداً.

كانت أمها بحاجة إليها لكنها ستظل تعتمد عليها إن لم تحاول الاتكال على نفسها. هل اختبأت خلف إعاقة أمها كوسيلة لتبرر تخليها عن هنتر؟ لم تشأ التفكير في ذلك، إلا أنها بدأت تصدّق أنها الحقيقة.

هل هذا التصرف يجعلها تشعر بأنها بطلة، إذ ضحّت بسعادتها الخاصة في سبيل خير أمها؟ أم أن الناحية الانسانية في هذا التصرف، تجعل من الخسارة أخف وقعاً؟

- أمي، سأبلغ عامي الثلاثين السنة المقبلة. كنت تنعمين بزواج سعيد وابنة، وأنت في الثلاثين. ألا تتمنين الأمر نفسه لي؟ ألا ترغبين في أن تصبحي جدّة؟ إن لم أجرِ بعض التغييرات فسأبلغ عامي الثمانين وأنا أعمل في شركة عمي ساول. وسأكون عندذاك عانساً لا تجدي نفعاً.



www.elromancia.com

قطبت أميليا قائلة: «إذاً، أنت تخططين للعودة إلى هنتر برادوك مجدداً؟ تريدين أن تنتقلي للعيش في دنفر وتتركيني هنا وحيدة؟».

قالت هيثر بحزن: «لقد رحل هنتر يا أمي، ولن أتركك وحيدة قط. سنرى ما نستطيع فعله لتتدبري أمورك بنفسك. قد نستخدم مدبرة منزل بدوام جزئي أو ما شابه».

- ومن أين سنحصل على المال؟

- سنتدبر أمرنا. يمكنك أن تبيعي بعض اللحافات التي تصنعينها فهي جميلة جداً.

- إنها مجرّد هواية...

جاء الطرق على الباب بشكل غير متوقع، فنهضت هيثر لتفتح الباب، وذهلت لرؤية هنتر.

رفعت نظرها إلى وجهه الحبيب. لقد ظنت أنها لن تراه مجدداً إلا في دنفر، وها هي تراه أمامها. حدق إليها طويلاً قبل أن يجذبها إليه ويضمها بين ذراعيه. عانقها بحذر متبهاً لكتفها، عناقاً حنوناً أثار مشاعرها.

نسيت هيثر ما حولها، وفقدت إحساسها بالزمان والمكان وبأمها. لم تكن تشعر سوى بالرجل الذي تحب. وأزهر الفرح والحب بين ذراعيه...

أرادت أن تسجنه بين ذراعيها طويلاً وبقوة، لكن العناق لم يعد كافياً لاشباع نهمها.

كان يقودها إلى الجنون. احتبست الأنفاس في صدرها وهي تدور في دوامة العناق المؤثر. أرادت أن تدوم هذه اللحظة إلى الأبد، وأن تبتعد عن الواقع والحقيقة. أرادت لهذا أن يكون سحراً أبدياً. لقد ظنت أنها لن تراه مجدداً، وها هو الآن واقف أمامها.

رفع نظره إليها فلاحظت بريق عينيه وتقطّع أنفاسه، وتكلّم بصوت مبحوح: «هل تمارسين سحرك على كل رجل تصادفينه؟ هل تستميلينهم بهاتين العينين البنيتين، والبشرة الناعمة والتصرف الواثق؟ قد تغرين



قديساً، وتعلمين أنني لا أشبه أياً منهم. أردت أن أبقى بعيداً لكني لم أتمكن من ذلك. أخبرني عمّك أين تقيمين».

فقالت: «أعتقدت أني لن أراك ثانيةً».

قبّل أناملها بنعومة فشعرت برعشة وصلت حتى أخمص قدميها. وعانقته من جديد، فتجاوب معها ما أشعرها أنها تعود إلى الجنة. شمّت أناملها شعره الكث ففاح عطره من رائحة الأشجار والطبيعة.

وسألته: «ماذا تفعل هنا؟».

عانقها من جديد قبل أن يجيب: «أتيت لرؤيتك طبعاً».

هل هي مجرد زيارة أخيرة ليقول وداعاً؟ هل اقترب موعد رحيله إلى دنفر؟.

واشتدت ذراعاه حولها وازداد عناقه حرارة، فهز كيانها، وارتعشت شوقاً.

وتراجع بعد بضع دقائق يتأمل عينيها بعينين سوداوين حزينتين: «ماذا بعد هذا هيثر؟».

- هيثر؟

والتفتت لترى أمها وراءها فتنهدت برقة وحررت نفسها من بين ذراعيه قائلة: «تعال هنتر، سأعرفك بأمي».

فقال وهو يدخل الشقة: «سيّدة جاكسون».

بدت الغرفة ضيقة عليه بعد أن أغلقت هيثر باب الشقة خلفهما. صافح أمها ودخل وجلس على الأريكة ملبياً دعوتها للدخول.

- إذاً أنت هو الرجل الذي تخلى عن ابنتي حين كانت بأمس الحاجة إليه.

- هذا ليس صحيحاً أمي. لا تقولي هذا أبداً، فأنا من تركته. وهو لم يكن يعرف أيّ شيء عن حالنا. أنا سعيت إلى إنهاء زواجنا، وحين أتى ليتحدّث إليّ طرده ساول. هنتر لم يخطىء أبداً.

بدا هنتر مذهولاً لدفاع هيثر عنه. وبعد أن تأمل أميليا جاكسون، قال



www.elromancia.com

ببساطة: «ظننت حينذاك أن هيثر حصلت على بعض المال بعد وفاة أبيها ولم تكلّف نفسها عناء البقاء مع زوجها».

وتوجه إلى هيثر بالسؤال: «ألم يكن هذا هو الانطباع الذي أردت إعطاءه؟».

هزت هيثر رأسها بأسف وقالت: «أنا آسفة، لكنني أظن أني وقفت أتفرج على ما حصل».

فعلّق: «يبدو أن كلينا وقف يتفرج على ما فعلت».

عندئذ، سألته أميليا: «وما الذي أتى بك اليوم إلى هنا؟».

أجابها وعيناه مسمّرتان على هيثر: «كلام قالته هيثر مؤخراً».

فقالت والأمل يزهر في قلبها من جديد: «ماذا؟».

عناقهما عند باب المنزل أظهر أن لا مناعة لديه ضدها. فهل هو انجذاب جسدي فقط؟ أم أكثر؟

سألته أميليا وقد أزعجها أن ترى اهتمامها مركزاً في مكان آخر: «وما كان ذلك؟».

- قالت إنها تحبني، وأتيت لأرى إن كان هذا صحيحاً.

فأجابته هيثر بأمل: «نعم».

أيعني هذا أنه يهتم لأمرها؟

قال لها: «لن أعطي المشروع لجاكسون أند بريس».

- قلما يهمني، أعني أن الأمر يهمني وقد يكون التعاون مثمراً. لكن هذا ليس سبب ما قلته. أهذا ما ظننته؟.

لم يجب بل سألها: «ستذهبين من هنا؟»

- كما تشاء.

- سنخرج معاً من حين إلى آخر؟

ابتلعت هيثر بريقها، فقد أرادت المزيد لكن إن كان هذا ما سيقدمه، فستقبل به. وهزت رأسها ايجاباً.

- هل ستأتين إلى دنفر؟



وهزت رأسها مجدداً، فقد خططت لذلك. عليه أن يعلم أنها قد تفعل أي شيء من أجله.

قالت أمها مرتعبة: «هيثر!».

- هذا بيني وبين هنتر فقط، أمي.

شعت عيناه سعادة، ولم تكفا عن النظر إليها: «هل ستتزوجين بي ثانية؟».

ظنت هيثر أن قلبها سيتوقف عن الخفقان، فارتمت بين ذراعيه كغريق يتعلق بحبل النجاة: «سأفعل في ومضة عين! أحبك هنتر، لقد أحببتك منذ رأيتك للمرة الأولى في اتحاد الطلاب».

كاد عناقه يكسر أضلعها. وضمته بدورها بقوة، وتعلّقت به والسعادة تغمرها. هل هذا صحيح؟ أيريد حقاً الزواج بها؟

تراجعت قليلاً وقالت: «وليس من أجل المال، تعرف هذا، أليس كذلك؟»

- أي مال؟.

- مالك أنت، فأنا أكسب ما يكفيني أنا وأمي، ولا أحتاج لمالك.

ضحك لكلامها وضمّها إليه بقوة: «لم أفكر للحظة في أنك تلاحقينني من أجل مالي. عديني بأن تتزوجيني ثانية وبألاّ ترحلي لنبدأ من حيث توقفنا. واعلمي أنه في حال حدث أي طارىء عائلي لن أدعك ترحلين. لقد تعلّمت الدرس جيداً المرّة الماضية، فإما أن نكون معاً دوماً وإما لا نكون أبداً!».

- لن أتركك مجدداً هنتر، عش معي بقية حياتك وسأثبت لك ذلك. سنكون بغاية السعادة، أحبك كثيراً، أنا سعيدة لأني تجرأت على قول ما قلته في الموقف.

- لقد ساعد ذلك، إلا أن رؤيتك تقعين في النهر وتكادين تهلكي جعلني أدرك أنه مهما حدث في الماضي، فما من شيء يتغير إلا إذا سعينا إلى تغييره بأنفسنا. كدت تقتلين، ولا مكان للكبرياء الأحمق حين يتعلق



www.elromancia.com

الأمر بأمر مهم كالحب الذي يجمعنا. ما قلته جعلني أفكر طوال الطريق إلى سياتل. وكنت قد اتخذت قراري قبل أن أقابل عمّك. أريد أن أكون معك وأن أكون زوجك مجدداً.

وغمرت الفرحة قلبها فالتصقت بالرجل الذي أحبت. إنه يحبها، ويريد أن يشاركها حياته كما فعل منذ سنوات خلت.

سألته: «لمَ ذهبت لرؤية ساول؟».

- أردت أن أطلب يدك للزواج مجدداً، وأن أناقش معه أجواء العمل في سياتل. لن أخاطر أبداً هذه المرّة. سأنقل القسم المخصص لي في الشركة إلى هنا، لقد سبق واتصلت بتريفور.

نظرت إليه هيثر بذهول: «هل ستنتقل للعيش في سياتل؟».

- لمَ لا؟ فتوسّع «ترايلزوست» يتطلب تواجد أحد المالكين في المنطقة. وهكذا، ستتمكن أنا وأنت من العيش هنا والتنزّه في الطبيعة حين نريد، كما يمكننا ممارسة التزلج والتسلّق. سنستمتع بالمناخ هنا كما في دنفر. وربما أفضل.

فقالت له: «لكن هذا ليس هو السبب».

- السبب هو أنت وأمك.

واعترفت هيثر: «كنت محقاً. لقد حاولت تبرير أفعالي بجعل أمي محور حياتي. إن كان عليّ التواجد هنا من أجلها، فسأعيش معها مدركة أنني أضعت أيّ فرصة لي بالسعادة. لم يكن بإمكاني تحمّل كل ما حصل من دون مقابل».

- إنها والدتك، وأدرك أني كنت لأتصرف على نحو مماثل، فالعائلة أمر مهم، هيثر. إنما أنا وأنت أيضاً عائلة، وأريد أن نكون عائلة للأبد.

سألته وهي تجلس: «أنت لا تثق بي أليس كذلك؟».

- عمَّ تتحدثين؟

- تظن أنك إذا أقمت في سياتل، فلن أتركك مجدداً في حال حصل أي مكروه.



- هذا هو الواقع.

- لكني لن أتركك مجدداً. كنت يائسة جداً طوال السنوات العشر الماضية! أنا أحبك. والحال اليوم تغيّر، فلم نعد مراهقين، ولن أتركك أبداً مجدداً. كنت أفكر في السفر إلى دنفر لرؤيتك.

كيف يمكنها أن تجعله يصدقها؟ قد تمشي على الجمر لتبقى مع هنتر، إذ قد جربت العيش من دونه وظلت على هامش الحياة حتى عادت وأحسّت بطعمها من جديد. هي الآن أكبر سناً وأكثر نضجاً، وسوف تتذكر هذه اللحظة كل سنين حياتها.

- أتتذكرين أني أخبرتك أني أوشكت على الزواج مرتين؟ لم يكن الأمر ممكناً، فما من أحد مثلك أو يشبهك. أستطيع العيش أينما كان، يمكنني العيش حيث تعيشين. وبالرغم من اقتراحك الانتقال دنفر، إلاّ أني أظن أن هذه هي الطريقة الفضلى، فأمك تحتاج لعائلة من حولها، وهي ليست من دنفر ولا أنا أيضاً. ودنفر ليست سوى مكانٍ أطلقنا منه أنا وتريفور الشركة. أستطيع الذهاب إلى حيث أشاء، وسأختار سياتل. لدى المنطقة الكثير لتقدمه فضلاً عن قربنا من المحيط. إنما يبقى الأهم هو وجودك أنت.

لم تصدق أذنيها، فستكون الأمور أكثر بساطة لو انتقل إلى سياتل، حيث ستتمكن أمها من استرجاع صداقاتها. ستبقيان بجانب العائلة وفي المدينة التي اعتادا عليها. وكل هذا تضحية من طرف واحد، طرفه هو.

قالت له: «إذا ما انتقلت إلى دنفر، فسيكون ذلك من أجلك».

أخذ هنتر وجهها بين يديه، وراح يلامس وجنتيها بأصابعه.

«لكني لا أريدك أن تختاري واحداً على حساب الآخر هيثر. أريدك أن تحصلي على الاثنين، أنا وأمك. سنشتري منزلاً كبيراً ليحافظ كل منا على خصوصيته، وسيلفنا الحب جميعاً. سينجح الأمر حبيبتي، ثقي بي».

- أنا واثقة بك وأحبك كثيراً، ولطالما فعلت.

عانقها وقال: «إذاً، لنعقد اتفاقاً».

هزت هيثر رأسها وعيناها تلتمعان من السعادة.

يمكن لهما أن يقوما بنزهات في الطبيعة ويعيشا حبهما تحت الأشجار العالية، وبجانب الجداول المنعشة، وتحت قبة السماء المرصعة بالنجوم في إحدى القرى الجبلية العالية. وستنجب الأولاد الذين حلمت بهم وكم ستستمتع أمها بلعب دور الجدّة.

قال وهو يعانقها بهدوء: «أحبك هيثر، تزوجيني وعيشي معي إلى الأبد».

عانقته بدورها وردّت: «نعم».

عندئذ، علقت أميليا برقة وهي تبتسم من دون أن يلتفت إليها أي منهما أو يسمعها حتى: «أظن أنني سأبدأ بصنع غطاء للعروسين».

وغرقا في عالم من السعادة لطالما انتظراه.

www.liilas-romancia.com